

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

سقوط الايدلوجيات
وكيف يملأ الإسلام الفراغ

أنور الجندي

السنة الثانية عشرة
رجب ١٤١٤هـ - العدد ١٣٩



بسم الله الرحمن الرحيم



توطئة :

المسلمون في العالم المعاصر
التحديات وعبرة التاريخ والأحداث

أولت الصحف العالمية الكبرى وكثير من الهيئات العلمية والثقافية الاهتمام بشأن المسلمين في العالم المعاصر في العقود الأخيرة التي تتقدم نحو القرن الحادي والعشرين الميلادي من بين أهم ما توليه اهتماماً وذلك نتيجة لعدة عوامل أساسية أهمها الموقع الجغرافي الخطير بين القارات العالمية الثلاث وامتلاك عدد من الخلجان والبواغيز التي تتحرك من خلالها الثروة الاقتصادية للعالم كله فضلاً عن تنامي المسلمين في منطقة غنية بكل المواد الأولية التي لا تستغنى عنها الصناعة العالمية خاصة وأن تعداد المسلمين أخذ يتنامى حتى بلغ حسب آخر الإحصائيات ألف وثلاثمائة مليون يمثلون ثلث تعداد العالم وهم موزعون على ساحة عريضة تمتد من أرخبيل الملايو إلى الدار البيضاء، هذا العالم الإسلامي الذي تشكل خلال ثمانين عاماً من بعثة الرسول ﷺ والذي اقتحم أوروبا من ناحيتين: من اسبانيا وجنوب فرنسا ومن بلاد البلقان حتى وصل إلى أسوار فينا خلال تاريخ حافل امتد أربعة عشر قرناً.

وقد تنامى الإسلام في دائرتين: (أولاً) من خلال الأزمات

الكبرى حيث امتد إلى جنوب شرق آسيا وإلى قلب القارة الافريقية على أيدي التجار والدعاة المتجردين بل لقد استطاع أن يقتحم امبراطورية التتار المغولية وأن يسيطر عليها فتتحول إلى الإسلام كاملة.

(ثانياً) أما الدائرة الثانية فهي تتمثل في قدرة الإسلام على تصحيح مسار المسلمين إذا انحرفوا عن الطريق من خلال رفضه لكل مايتعارض مع تكوينه القائم على التوحيد الخالص وفي أكثر من موقف استطاع بقدرته. الذاتية أن يستعيد المسلمين إلى الأصالة بعد أن تنحرف بهم الطرق حين تعرض عليهم التبعية للأمم الغازية أو المسيطرة.

ومن أبرز عوامل الاهتمام بالعالم الإسلامي المعاصر تلك الاحصائية التي أذاعتها منظمة الأمم المتحدة والتي تكشف عن أن المسلمين اليوم يشكلون ثلث سكان العالم وأن الدول التي مازالت تقاوم الاستعمار هي: كشمير وفلسطين واريتريا والصومال والفلبين وأن عدد الدول التي تسكنها أغلبية مسلمة هي أربعون دولة أما الدول التي يتراوح فيها عدد المسلمين من ٣٠ إلى ٤٠ في المائة من السكان فهي ١٥ دولة ما عدا روسيا (الاتحاد السوفيتي سابقاً) التي يبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من أربعين مليوناً والهند ٧٠ مليوناً وفي كل من يوغسلافيا (٣ مليون) وتايلاند (٣ مليون) وبورما (٣ مليون) والفلبين (٤ مليون) وفي دراسة قام بها مجموعة من خبراء هيئة الأمم المتحدة نشرت تحت عنوان (الأرقام المتوقعة) لسكان العالم عام ٢٠٠٠ أمكن استخلاص هذه المعلومات التي تفيد المشتغلين بدراسات العالم الإسلامي في العصر الحديث:

أولاً: يبقى الدور الذي تقوم به الدول النامية في الزيادة الحالية لسكان العالم على وضعه حتى نهاية القرن الحالي إذ أنها ستساهم بـ ٨٥٪ من مجموع الزيادة السكانية للفترة بين ١٩٦٠- ٢٠٠٠ على أية حال من الأحوال.

ثانياً: الزيادة السكانية الحاصلة في البلدان النامية هي أكثر من الزيادة الحاصلة في بقية العالم المتطور.

ثالثاً: الحجم الكلي لسكان البلاد النامية (الشرق الإسلامي) سوف ينمو إلى ٧٢,٥٪ وبهذا يمكن القول: إن البلدان النامية في خلال القرن الحالي وحتى نهايته سيتراوح عدد السكان فيها من ثلاثة أرباع إلى أربعة أخماس مجموع سكان العالم، أي أن البلدان النامية (وهي لا تدخل ضمن النظام الرأسمالي أو الشيوعي) ستضم نحو ثلثي سكان المعمورة.. آ.هـ

●●●

هذا وقد وضعت في يد العالم الإسلامي ثلاث قوى كبرى هي:

١- التفوق البشري. ٢- الثروة المادية. ٣- الطاقة: وصولاً إلى التكنولوجيا الإسلامية.

وقد روى الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ليبلغن هذا الأمر - أي الإسلام - مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلاً، عزاً يعز الله به الإسلام ولا يذل به الكفر. أما الذين يعزهم الله فيجعلهم

من أهلها وأما الذين يذهم الله فيدينون لغيره. . آ. هـ

ولقد جاءت الأديان كلها قبل الإسلام تمهيداً للدين الخاتم، الذي يمثل عصر رشد الإنسانية، فقد جاء الإسلام حداً فاصلاً بين عصر وعصر، مما يصدق مقولة بعض الباحثين الغربيين المنصفين عن (الانقطاع الحضاري) فقد جاء الإسلام علامة على مرحلة جديدة تمر بها البشرية لها طابعها الخاص المتميز بالرحمة والإخاء البشري والسماحة والانفتاح على العصر وتقبل كل العناصر والأديان في محيطه حيث استصفى في منهجه خلاصة الدين الالهي المنزل ليشكل ثقافة عالمية خالصة.

ومن هنا فإن هذه المرحلة. . مرحلة الضعف والتخلف التي يمر بها العالم الإسلامي هي مرحلة عارضة وليست تطور اطبيعياً، وقد مرت هذه الأمة مرات من قبل بمثل هذه الأزمة في مواجهة التتار والصليبيين والفرنجة شرقا وغربا عندما اجتمعت عليها كل القوى لاحتوائها وتدميرها.

ولكنها كانت تعرف أن الإسلام سيستردها ويبتعثها مرة أخرى من تخلفها إذا ما رجعت إليه والتمسته منهجاً لحياتها ومنطلقاً لوجودها ولقد اعترف الفكر الغربي في العقود الأخيرة بمجموعة من الحقائق لصالح الإسلام:

أولاً: اعترف بأن أول التاريخ الحديث هو ظهور الإسلام وليس سقوط الدولة الرومانية.

ثانياً: اعترف بعطاء حضارة الإسلام للبشرية:

١- المنهج التجريبي.

٢- منهج المعرفة ذي الجناحين.

٣- قوانين قيام الأمم والحضارات وسقوطها.

ثالثاً: دخول الإسلام أوروبا سلماً وامتداده إلى أمريكا واستراليا وتقديم منهج الإسلام في صورة مجتمع جديد.

●●●

ولقد عاش المسلمون حياتهم خلال أربعة عشر قرناً بين عامل الاستجابة والتفريط متطلعين إلى المثل الأعلى الذي رسمه القرآن وطبقه الرسول الكريم وفي محاولة لإقامة منهج الله تبارك وتعالى على الأرض ولكن تجربتهم البشرية كانت تصيب وتخطيء وتسدد وجهتها أو تنحرف وكان إغراء عدوهم لهم بمتاع الحياة الدنيا وزخرفها يخرجهم من الصمود فيأمنوا عدوهم، وقد كانت القوى الخارجية لا تغفل عنهم فقد ولد الإسلام في قلب التحدي من خلال مخططات معدّة تطمع في تدميره والقضاء على أهله وقد أنذرهم القرآن الكريم وحذرهم في أكثر من موضع عن أن يأمنوا في مواجهة التحديات أو أن يتخذوا بطانة من دونهم أو أن يغفلوا عن ثغورهم ومقدراتهم، وفي أكثر من موقف خلال تاريخهم كان العدو قادراً على اقتحام ثغورهم وتدمير قواهم وتفريق وحدتهم.

﴿ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أمتعتكم واسلحتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ سورة النساء آية ١٠٢ ﴿وخذوا حذركم﴾.

ولقد عمل المسلمون على إقامة مجتمعهم الرباني وحشدوا في

سبيل ذلك قواهم ومقدراتهم ولكن التجربة كانت في حاجة إلى الصمود والثبات في وجه الأحداث ولكن المسلمين سرعان ما كانوا يغفلون ويأمنون فتجتاحهم الأخطار وتستولي على ما في أيديهم ولم يكن العيب في هذا راجع إلى المنهج فقد كان المنهج سليماً ربانياً محذراً من الترف والأمن الخادع ومطالباً بالإعداد والحشد والقدرة على الردع والمواجهة والاخشوشان ولو وعي المسلمون مقولة الرسول ﷺ من أن جند المسلمين في هذه المنطقة هم في رباط إلى يوم القيامة لعلموا انهم يجب أن يحتشدوا ويرابطوا ويكونوا دائماً على تعبئة كاملة.

ولو علم المسلمون من ميراثهم الخالد (القرآن والسنة) أن التماسهم منهج الله تبارك وتعالى هو دائماً المخرج من الأزمات الكبرى التي تتجمع فيها قوى الخصم لتجتاحهم، وتحاول صهرهم في بوتقة الأممية وأن الإيمان والاستشهاد وبيع الأنفس لله تبارك وتعالى هو المعادل الحقيقي لقوة العدو والمحتشدة، لو علموا ذلك لالتقوا على وحدة الكلمة.

وتكشف صفحات التاريخ الإسلامي عن هذه الحقائق في بيان ناصع وتعلن في صدق واضح: أن الأزمات تأتي نتيجة تفريط المسلمين في القوة والاستسلام إلى التحلل واللذات العاجلة والترف وعندها يحتشد العدو ليضرب ضربته الفاصلة كما حدث في سقوط بغداد وسقوط غرناطة وسقوط القدس في الأخير. وهناك عدة أشياء غائبة عن المسلمين أهمها: العودة إلى العزائم والتماس أسباب التمكين وامتلاك أدوات التقدم وتصحيح كثير من الأوضاع الاجتماعية التي دفعتهم إلى الحضارة الغربية وهي التطلع إلى الترف والمادة والتماس

مصادر الحرام والنزوع إلى الإسراف في المتعة المادية وتجاهل الخطر المحدق الذي يعمل على احتواء المسلمين ومحاصرتهم والحيلولة دون تمكينهم من امتلاك ارادتهم وبناء مجتمعهم الرباني وتوجيه ثرواتهم نحو بناء قوة اقتصادية إسلامية تكفل لهم استغلال مواردهم فيستقل قرارهم ولا يكونوا خاضعين لمن يفرض عليهم وجهتهم ولا يتأتى هذا إلا بالعمل على إقامة وحدة جامعة بين كل العناصر الإسلامية: عربية وفارسية وتركية وهندية تستمد مقوماتها من المنهج الإسلامي الذي يجمع ولا يفرق.

كذلك فالمسلمون في حاجة إلى تأكيد الهوية الإسلامية الجامعة بين الهويات القومية والوطنية في دائرتها الكبرى حتى لا يجد خصوم الإسلام ثغرة ينفذون منها وليأخذوا من التاريخ الطويل عبرة وعظة.

إن غاية مايقال إن للمسلمين منهجهم الأصيل وأسلوب عيشهم الخاص وإن حاجتهم من الفكر الغربي تقف عند العلوم التجريبية وحدها، هذه العلوم التي شاركوا في بنائها أولاً، وعلى أن ينصهر ما يستقدمونه في دائرة الفكر الإسلامي حتى لا يتعارض مع مفاهيم الإسلام وقيمه وخاصة ما قرره الإسلام حول مهمة الإنسان في الأرض من خلال المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي والبعث والحساب والجزاء الأخروي وما يتصل بتوزيع الثروة وبناء الأسرة وعلاقة الرجل والمرأة.

إن كتابات المفكرين الغربيين الأعلام الذين درسوا الإسلام في الغرب وآمنوا به تكشف تماماً عن حاجة البشرية إلى نور جديد وليس غير القرآن إلى منهج جديد وليس غير الإسلام منهج الله: المنهج

الباقي الخالد الذي يستطيع أن يعطيها على مدى العصور وفي مختلف البيئات وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يعطيها أمان الحياة وأشواق الروح وراحة الضمير.

إن المسلمين مطالبون بالعودة إلى منهج الله وتجاوز كل العقبات الموضوعة في طريقهم فإذا عادوا مكّن الله تبارك وتعالى لهم في الأرض وإن تقاصروا فسوف يلقون أشد الأزمات حتى يعودوا إلى الحق.

●●●

والمسلمون اليوم في منعطف جديد سوف يؤرخ به للدعوة الإسلامية كمرحلة جديدة خطيرة كل الخطورة، في حاجة إلى إعادة النظر في المناهج الثقافية والتعليمية حتى يتمكن المسلمون من القيام بدورهم وأداء حق الله تبارك وتعالى عليهم من مسؤولية إزاء الفجوة التي أحدثها سقوط الشيوعية وتطالب القوى كلها على السيطرة عليها واحتوائها.

ولكن الحقيقة التي لا يمكن أن تغلب مهما بدت ظواهر أهل السيطرة هي الآتي:

«إن سقوط الأيدلوجيات من الماركسية إلى العلمانية» قد أصبح واقعاً لا سبيل إلى رجعية وأن الإسلام والإسلام وحده هو القادر على ملأ هذا الفراغ وتقديم منهج الله تبارك وتعالى للعالمين وأن على قادة الفكر الإسلامي اليوم مسؤولية أداء هذا الواجب والاحتشاد له والعمل في عزم وتصميم من خلال أسلوب الإسلام الأمثل: القدوة والحكمة والموعظة الحسنة فهي وحدها الطريق الأمثل لتحقيق هذه

الباب الأول

الصحوة الإسلامية وتجربة التاريخ

الفصل الأول : الصحوة الإسلامية .

الفصل الثاني : سقوط الماركسية علامة على عصر جديد للإسلام.

الفصل الثالث : بناء مستقبل الإسلام .

الفصل الرابع : المسمار الأخير في تفشي العلمانية.

الفصل الأول :

الصحوة الإسلامية وتجربة التاريخ

لاشك أننا ندرك من مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية واتساعها وتعمقها أنها قادرة على استيعاب الأحداث والاستفادة من الأزمات بما يزيدها قوة ورسوخاً ومايقربها من الغاية المرتجاة .

وماتزال الصحوة الإسلامية ترقى في سماء المجتمع الإسلامي كما يرقى البدر من منزلة إلى أخرى في السماء فهي دائبة على النماء والإشراق، تتفتح لها الأبواب كل يوم فتدخل القلوب وتقتحم الوجدان ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾ سورة الروم آية ٣٠ تمتد من جبال الهملايا شرقاً حتى تقتحم رباط الفتح إلى المحيط لتجد مكانها في قلب اسبانيا وفرنسا وألمانيا حيث نجد من أولئك الحائرين الذين تأكد لهم فساد الحضارة الغربية وماديتها وإلحادها، تجد منطلقاً لهم في ضوء الإسلام وفي نور القرآن حيث طمأنينة النفس وسلام الروح وتكامل الفكرة التي تلتقي تكامل الإنسان نفسه: مادة وروحاً ودنيا وآخرة وفق منهج جامع يحمل معه خير ما عرفت الدنيا في تاريخها كله: ذلك المنهج الرباني للحياة والنظام الصالح للمجتمع كما عرفته البشرية منذ جاء محمد بن عبدالله به للناس . ﴿**قل يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً**﴾ .

وفي كل زاوية من زوايا المجتمعات الإنسانية ترى علامات جديدة وتغيرات واضحة كلها توحي بصدق هذه الصحوة وعمقها وسلامتها وحماية الله تبارك وتعالى لها لتصل إلى غايتها وتلتمس المنابع الأصيلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة لتحرر الإنسان من فساد المناهج البشرية والفلسفات المادية بعد أن أعطى للتجربة المريرة التي حملت لواءها أوروبا والغرب أكثر من أربعة قرون ذاق فيها العالم الإسلامي الظلم والفساد وقد نهبت ثرواته واستبعد رجاله وضللت طريقه وظنت القوى المسيطرة أنها قادرة على أن تحتوي الأمة الإسلامية وأن تصهرها في بوتقة الحضارة الوثنية المادية وان تسيطر على مقدراتها من خلال الاستعمار الغربي والمؤامرة الصهيونية والخطر الشيوعي ولكن الله تبارك وتعالى القادر على حماية أهل لا إله إلا الله قد أعانهم على فهم أبعاد المؤامرة وربط على القلوب لتصمد في موقفها ﴿**ياأيها الذين أمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾ سورة الأنفال آية ٤٥ فسرعان ما تكشف لهم زيف المنهج الغربي وفساد وجهته وانهارت الشيوعية الماركسية وسقطت في بلادها بعد سبعين عاماً من حرب شديدة شنتها على كل سنن الله تبارك وتعالى وعلى الفطرة والدين الحق حتى كشف الله غمتها ولم يبق أمام المسلمين إلا أن يتمسكوا بعقيدتهم في وجه الحملة الصهيونية حتى تنجلي غمتها وطريقهم إلى ذلك هو الاعتصام بحبل الله وبناء القوة الرادعة .

ولقد مرت بالمسلمين مجموعة من التجارب والأحداث هم أحوج مايكونون إلى دراستها واستيعابها منذ النكبة والنكسة وهزيمة ١٩٦٧ وماتزال تصيب المسلمين العرب قارعة ماداموا لم يلتمسوا منهجهم

الأصيل ويعودوا إلى كتابهم ومنابعهم فما أحوج المسلمين اليوم بعد أحداث الخليج إلى أن يعيدوا النظر في المناهج الوافدة ويتحرروا منها ويلتمسوا منهج الله الحق فهو وحده سفينة النجاة من طوفان الغرب الطامع في تدمير الإسلام واحتواء أهله وموارده.

ولا ريب أن موقف المسلمين والعرب من الصهيونية هو وحده القادر على أن يكشف هذه الحلقات المتصلة من المؤامرات بعد أن عرف المسلمون أن أكبر الأخطار يتمثل في انهيار وحدتهم الجامعة حيث تألبت عليهم دعوات القومية والعنصرية والعرق والدم والطائفيات، هذه كلها التي أيقظها النفوذ الغربي والتي قضى عليها الإسلام الذي استظل برايته خلال ألف سنة جماع العناصر والنحل التي عاشت تحت لوائه في عدل كريم وسماحة باهرة فليعلم المسلمون أنه ليس هناك اليوم طريق إلا طريق واحد هو لم الشمل وجمع الكلمة في ظل إيمان صادق بمنهج الله الذي لا سبيل غيره.

ومازال الدعوة الإسلامية هي المنطلق الصحيح لكل اصلاح اقتصادي أو اجتماعي أو تربوي ومازال الشريعة الإسلامية هي عامل التوحيد الأكبر والأقوى حيث يتحقق العدل لكل فئات المجتمع الإسلامي فيكون قادراً على بناء مجتمعه على أساس راسخ من الإخاء الإنساني والرحمة والكرامة مع التوسط في الأمر بعيداً عن الجمود والتعصب.

وإننا لنرجو أن تكون الأحداث التي ألمت بالعرب والمسلمين في الأخير قادرة على أن تفتح قلوب المسلمين وعقولهم لفهم أكثر عمقاً لمخططات الغرب والاستعمار الجديد الطامع في ثروات المسلمين

المتطلع إلى إدامة السيطرة والحيلولة دون تمكن العرب والمسلمين من إقامة مجتمعهم الرباني الصحيح.

وعلينا أن تصل من هذه الأحداث جميعاً إلى حقيقة أساسية هي أنه ليس هناك طريق للاصلاح أو العمل أو لإعادة البناء أولتصحيح الأوضاع مالم يستمد هذا المنطلق طريقه من منهج الإسلام نفسه بعد أن تساقطت المناهج الوافدة تساقط أوراق الخريف وخرست تلك الألسنة الحادة التي كانت لا تتوقف عن الحملة على الدين الحق ولنعلم أن هذه الأجيال من الشباب المسلم هي أمانة يسأل عنها القادة والمفكرون يوم القيامة هل حفظت أم ضيعت.

فتشكل هذه الأجيال الجديدة على الإيمان بالله تبارك وتعالى وعلى فهم صحيح لمسؤولية المسلم إزاء ربه ومجتمعه وأهل القبلة جميعاً وليكن منهجاً واضحاً أن يمتلك إرادة العمل للبناء والعمران وحماية الثغور واسترداد الأرض المغتصبة وأن يكون على تعبئة كاملة لأداء حق الله تبارك وتعالى بالجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله وأن يكون مهمة أهل العلم كشف الأخطار والزيف والمؤامرات التي تحاك للإسلام تحت أسماء خادعة من خلال الصحافة والمسرح وأدوات الإعلام والثقافة.

وأن نقف جميعاً في وجه هذه المؤامرة التي تزيد تدمير الشباب المسلم من خلال تلك الفلسفات الهدامة والمذاهب المضللة والمناهج الناقصة التي تعرض عليه دارون وفرويد وسارتر ودوركيم والمذاهب الهدامة التي تضرب الأخلاق في مقتل كالماسونية وولائدها الروتاري والليونز وغيرها.

وأن نعرض كل ما يقدم لنا على موازين الإسلام ولا نقبل ما

يعارضه وأن نحذر من إحياء الفرق القديمة كالباطنية والشعوبية والقرامطة وإخوان الصفا وكل ما تخلف منهم من فكر مسموم مدمر.

وأن نحذر الوقوع في شرك الكلام والاعتزال والصوت الفلسفي، وأن يقبل القرآن غضاً طرياً والإسلام بسيطا ميسرا بعيدا عن التعقيدات التي أدخلها عليه مترجمو فلسفات اليونان والرومان.

وأن تظل الدعوة الإسلامية كما بدأت يوم ولدت في العصر الحديث تبشر بالتوحيد الخالص وتبتعد عن الفرقة والخلاف وتتحرر من كل ما يبعدها عن منابعها الأولى ومصادرها الصحيحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وأن نفهم العروبة في إطارها الإسلامي حلته بين الوطن والإسلام، على النحو الذي قدمه الامام الرشيد حسن البنا: حلقات ثلاث تتكامل ولاتنفصم وفق مفهوم التعارف: ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾. سورة الحجرات آية ١٣.

لقد أتاح الله تبارك وتعالى للمسلمين والعرب منذ عصر الاستعمار أن يجربوا ما حذر منه القرآن ونهى عنه والآن وقد شهد المسلمون هذه التجارب جميعاً يوم فرض على المسلمين مفهوم الديمقراطية والليبرالية والرأسمالية، ثم مفهوم الماركسية والاشتراكية والشيوعية، وكيف سقطت التجربة في عديد من بلاد المسلمين معلنة عجزها عن العطاء جميعاً (ليبرالية وماركسية) ومؤكدة أن الجسم الإسلامي لا يقبل العنصر الغريب ويرفضه، وأنه لا ينهض ولا يدخل مرحلة النهضة مروراً من اليقظة إلى الصحوة إلا من خلال مفاهيمه

القرآنية وقيمه الربانية وقد كان الإسلام قادراً على مدى العصور أن يرد المسلمين إلى الطريق المستقيم متى انحرفوا اليه:

﴿وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ . سورة الانعام آية ١٥٣ .

فليع المسلمون تجربة التاريخ القريب التي هي بمثابة (ضوء كاشف) على الطريق الحق الذي رسمه الحق تبارك وتعالى للإنسانية وهدى الأمة الإسلامية قائدة راشدة للأمم إليه فهي أحوج ما تكون إلى أن تحفظ قيمها وضوابطها وحدودها لأنها هي وحدها المنطلق لعالمية هذا المنهج وسريانه إلى كل مكان على وجه الأرض . .

ذلك هو ميثاق المسلمين ومسؤوليتهم في حفظ الأمانة وتبليغ الرسالة فهم أحق الناس بالحرص على نقاء المنابع وصفاء المصادر فليحذروا محاولات احتوائهم في الفكر الوافد أو تزييف مقومات فكرهم القرآني المصدر .

ولقد ينظر الغرب اليوم فيجد أمة الإسلام وهي تنمو وتزداد كل يوم قوة وهي تمتلك الموقع الجغرافي بين القارات الخمس، ببواغيزه وخلجانه، وهي تملك مصادر الثروة المذخورة تحت الأرض من نفظ وكوبلت ومنجنيز يحاول الغرب نهبها والسيطرة عليها ومن هنا تأتي مؤامرة الغرب الخطيرة: فرض نظام الربا وتحديد نسل المسلمين .

هذه هي المؤامرة الخطيرة التي يعمل النفوذ الغربي (بقياصره الثلاث . . . الغرب والصهيونية والشيوعية) في مواجهة نماء المجتمع الإسلامي وامتلاكه لارادته في أمرين خطيرين هي فرض الربا على

الاقتصاد الإسلامي وتحديد نسل المسلمين ذلك لأن المسلمين يعرفون الآن من خلال تجربتهم الخطيرة مع الغرب خلال أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان كيف يعمل على نهب ثروات المسلمين ودفع المسلمين إلى الاستدانة وإدخالهم في نطاق النظام الربوي الغربي الذي يقوده اليهود أساساً في محاولة لاحتواء ثروات المسلمين وتدمير مقومات قدراتهم التجارية والمالية والاقتصادية وتحويلهم إلى تبعية خطيرة للاقتصاد الغربي المنهار والحيلولة دون تمكينهم من إقامة اقتصادهم الإسلامي المتحرر من الربا والتبعية والقائم على قاعدة الإسلام الكريمة:

﴿واحلّ الله البيع وحرمَ الربا﴾ سورة البقرة آية ٢٧٥.

ولقد ظهر من خلال تجارب كثيرة قام بها المسلمون في السنوات الأخيرة لإقامة اقتصاد إسلامي كيف تجري المؤامرات اليوم لهدم هذا الاقتصاد ولتدمير الكيانات الجديدة القائمة على تحريم الربا وقد سقطت تجارب كثيرة خلال السنوات الثلاثين الماضية للحيلولة دون تمكين المسلمين من إقامة مشروعات إسلامية نقية من الربا مما يوحي بأن التبعية الغربية قائمة أساساً على تدمير القواعد الإسلامية للاقتصاد وإيقاع المسلمين في دائرة الاحتواء والتبعية وحتى لا يملكون القدرة على بناء الصناعات الكبرى ولا المزارع الإسلامية ولا السوق الإسلامية المشتركة.

وطالما بقي المسلمون والعرب في دائرة الاستدانة والقروض ولم يحققوا إيقاف هذا الخطر فإنهم لن يستطيعوا أبداً إقامة اقتصاد إسلامي متحرر من التبعية، كذلك فإن عليهم أن يحرروا قدراتهم في توجيه

مدخراتهم وعوائدهم واستثمارها في قلب الوطن الإسلامي الكبير.

وهكذا نجد أنفسنا ونحن على أبواب العام الثاني عشر من القرن الخامس عشر الهجري نواجه تحديات خطيرة تحتاج إلى علاج وموقف ونجد في الجانب الآخر قبولاً للإسلام وفتوحات جديدة وأرض جديدة تكتسب أسماء جديدة تلمع في دائرة خدمة الفكر الإسلامي وتحريره من التبعية وهزائم شديدة لجمعيات التنصير ودعوات البهائية والقاديانية، نرى هذا كله فنحس بمدى المسؤولية التي تقع على عاتق (كتاب الإسلام) في هذا العصر، مسؤولية القلم، وأمانة الدعوة ومزيد من العمل من أجل تثبيت دعائم الفكرة وكشف زيف التغريب والغزو الثقافي هذا وبالله التوفيق.

الفصل الثاني :

سقوط الماركسية
علامة على عصر جديد للإسلام

اليوم وقد سقطت الماركسية بعد سبعين عاماً من محاولتها الماكرة التي خدعت الكثيرين يجب أن يفتح الفكر الإسلامي باب الحوار حول عشرات من الموضوعات التي يجب أن تخرج إلى دائرة الضوء لتصحح لشبابنا المسلم مفاهيم مضللة أو غامضة كانت تبث خلال السنوات الماضية في صحافتنا العربية، وفي ثقافتنا وفي مدارسنا وجامعاتنا، ذلك أن معنى سقوط الماركسية ليس هو إعلان النتيجة ولكنه استعادة أبنائنا الذين خدعوا طويلاً وتحريرهم من تبعية تلك السموم التي نسقت ووضعت في صورة مفاهيم أو نظريات أو مناهج كانت كلها تسبح ضد التيار وتحاول أن تجرّ النفس الإنسانية والعقل الإنساني إلى دائرة الالحاد والإباحية والجبرية والعدمية والعبثية ذلك أن كل هذه المذاهب سواء إتصلت بالنظرية الماركسية أم اتصلت بالعلمانية في الجانب الآخر من خلال الوجودية والعلوم الاجتماعية وإعلاء شأن الجنس (الفرويدية) أو ما يتصل بهدم مقومات الدين والوحي والألوهية والنبوة والغيب والعالم الآخر، فكل هذا يندرج تحت اسم الماركسية التي لم تكن في حقيقتها دعوة إلى العدل الإجتماعي أو تصحيح أوضاع

الطبقة العاملة أو القضاء عل الفقر والجوع، وإنما كان ذلك كله ستاراً تختفي وراءه حقيقة الهدف الأساسي والأول والأكبر.

وهو تدمير الدين الالهي الذي جاء به أنبياء الله تبارك وتعالى والتشكيك فيه وفتح الطريق أمام البشرية للعودة إلى الاباحية والوثنية فتلك كانت دائماً رسالة خصوم الانسانية الذين حملوا لواء الفكر البشري المادي الاباحي على مدى العصور في مواجهة الدين الحق ومايزال هذا التراث المسموم الذي قضت عليه رسالات الأنبياء باقياً لدى خصوم الحق يجددونه في كل عصر ويقدمونه مرة أخرى إلى البشرية حتى يتمكنوا من إقامة امبراطورية الربا والعجل الذهبي ودفع الناس إلى الشهوات والاباحيات، وفتح الطريق أمام اللذات المحرمة، حتى يضيفوا إلى أهل الباطل جيلاً جديداً.

فليس يكفي أن تسقط الماركسية ولكن يجب على المسلمين أن يحاصروا هذا التيار ويكشفوا للمسلمين الغافلين حقائق فإن أهل الباطل لن يتوقفوا عن الدفاع عن باطلهم إلا إذا وعي أهل الحق حقهم.

وليحذر المسلمون فإن أعداء الإسلام يتخفون اليوم وراء مسميات كثيرة ويلبسون في أيديهم التي تقطر سماً قفازات لامعة ليخفوها.

إن الإسلام لابد أن يكسب الجولة بيقظة أهله ووعيهم وليكن على ثقة من أن كل هذه المناهج والنظريات الغربية لا تنفعه إلا إذا وافقت منهج التوحيد أصلاً ثم اصبحت مادة خاماً يصهرها المسلمون في بوتقة فكرهم.

فنحن دائماً وفي كل موضع، ومع كل قضية نسأل أنفسنا عن وجهة نظر الإسلام، وهي وجهة الأصالة الحقيقة، والعودة إلى المنابع والتماس التوحيد الخالص وسنن الله تبارك وتعالى التي قدمها لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة فإذا اختلف ما يقدم إلينا عنها فنحن نرده ولسنا في حاجة إلى نظم الآخرين وإن احتجنا فإلى تنظيماتهم التي ندير فيها فكرنا ومفاهيمنا وقيمنا دون أن تخضعنا.

لابد أن يكون سقوط الماركسية علامة على عصر جديد للإسلام وصحوة جديدة للبشرية كلها لتعرف أنه ليس هناك إلا طريق واحد يردها إلى الإنسانية هو الإسلام الذي يدعوها إلى أن تلتمس منهج ربها وتسلم وجهها إليه.

ليس هناك بديل يهدي البشرية إلى نور الحق، وإلى طمأنينة القلب وصفاء النفس من [الإسلام]: كلمة الله الخالدة الباقية على مر الدهور والتي هي الشفاء لما في الصدور: وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾. سورة المائدة آية ١٥، ١٦.

لقد سبق الإسلام هذه الأيدلوجيات والمذاهب وأثبت عندما طبقته البشرية خلال ألف سنة كاملة أنه المنهج الصحيح القادر على العطاء فلما تهاون أهله وتراخوا أصابتهم سنة الله في الأمم والحضارات فغلبهم أعداؤهم وعجزوا عن امتلاك إرادتهم ثم ظنوا أنهم يستطيعون تحقيق التقدم والنهضة بتقليد الغرب فاصطنعوا مقاييسه وقيمه فضربهم الذل وأصابتهم المحنة وتداعت عليهم الأمم فليس لهم من

مخرج من هذه المحنة إلا بالعودة إلى ينابيعهم والتماس مفاهيم دينهم وإقامة القرآن الكريم منهجاً تطبيقياً لهم يلتمسون منه ومن السنة المباركة هدى طريقهم ونور سبيلهم ومايزال أعداؤهم وخصوم الإسلام يرمونهم بالشبهات والسموم في محاولة خطيرة لتفريغ الإسلام من مقوماته الحقيقية وأصالته الربانية وقد كان عليهم أن يذودوا عن حقيقة دينهم بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع بكل مايملكون من قوة ويضحون في سبيل ذلك بالعزيز الغالي حتى يظل الإسلام في مكان القيادة والقرآن في مكان الصدارة تبليغاً له لأهل الأرض جميعاً بوصفه المنقذ الوحيد للبشرية مما تمر به من أزمات وأخطار.

وقد جربت البشرية على مدى خمسة قرون منذ مطالع النهضة الأوروبية كل المناهج والايدلوجيات في محاولة لالتماس بديل عن دين الله الحق وفسدت كل هذه المناهج وأصابها العطب ولم يبق هناك غير الإسلام المنزل برسالة التوحيد هو ملجأ البشرية وملاذها الأخير.

الفصل الثالث :

بناء مستقبل الإسلام على قاعدة (الثوابت والمتغيرات)

إن أخطر ما يواجه الغرب بعد سقوط الشيوعية وهزيمة الايدلوجيات الغربية على الساحة العالمية هو الخوف والفزع من أن يستطيع الإسلام أن يسيطر ويملأ الفراغ الروحي والاجتماعي العالمي (خاصة وان هناك إرهاصات ممتدة منذ عقد من الزمان تتمثل في الصحوة الإسلامية وصيحات علماء الغرب أمثال بوكاي والسون، وجارودي).

وقد تحدث كثير من علماء الغرب والمراقبين عن أن الإسلام هو المرشح الأول لملأ الفراغ الايدلوجي والسياسي في عالمنا بعد أن فشلت الايدلوجية الشيوعية الماركسية في معقلها وبناء على إحساس المسلمين وإيمانهم بعد التجربة الطويلة مع الفكر الغربي بأن الايدلوجيات المختلفة كلها قاصرة وقد عجزت فعلاً عن العطاء في أفق الإسلام لأنها تستمد كيانها من الانشطارية الغربية القائمة على جناح الطائر حيث تسيطر على الفلسفة المادية المنكرة للالوهية والوحي والنبوة وعالم الغيب والبعث والجزاء حيث يحلق الإسلام بجناحيه وحيث يعدكم منهجاً جامعاً بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة.

وهناك إحساس غامر تؤكده علامات كثيرة بأن الايدلوجية العلمانية الليبرالية ستواجه نفس المصير في وقت قريب ولن يكون إنقاذ العالم إلا من خلال منهج الله تبارك وتعالى مثلاً في الإسلام بعد أن فشلت مناهج البشر ممثلة في الايدلوجيات التي تتساقط واحدة بعد الأخرى كأوراق الخريف ومن هنا نجد هذه الصيحات العصبية التي يطلقها أولياء الفكر الغربي من أهل التبعية لالقاء الوهم في وعي الناس خوفاً من نظام الإسلام بدعوى أنه يمثل الفكرة (الثيوقراطية) التي عرفتها الحكومات الدينية في الغرب مع أن الإسلام في حقيقته بعيد كل البعد عن هذا الاتجاه وأنه يؤمن بالحكومة المدنية التي تجمع خبرات العلم والسياسة والاقتصاد وان الإسلام في تاريخه كله خلال عشر قرون لم يعرف الحكومة الدينية ولم يجعل لعلماء الإسلام وضعاً خاصاً متميزاً يفرضون به على الحكم سلطاناً.

وهم ينطلقون من ذلك إلى ثلاث دعوات مضللة: أنه في سبيل تحقيق هدف (الانفتاح على العصر) لابد من التنكر للقديم كل القديم: [الماضي، التاريخ، العقائد، القيم] والدعوة إلى إطلاق حرية الفن والأدب إطلاقاً غير محدود وتدمير كل الضوابط والمنطلقات على النحو الذي تدعو إليه مذاهب الحداثة والبنيوية والتفكيكية والذرائعية وكلها مصطلحات صادرة من مصدر واحد هو الماركسية (التي جاءت به من الماسونية أساساً).

ونحن يعرف أن الفكر الماسوني الذي ينتشر الآن تحت أسماء العلمانية وغيرها إنما ينطلق من نقطة هدم القديم وحربه والحملة عليه والتخلص منه. (والقديم عندهم هو الدين والتراث) ولكنهم حرصاً

على التخفي يكتفون في هذه المرحلة بالدعوة إلى المباديء الثلاثة البراقة الحرية والإخاء والمساواة.

ومن هنا تنطلق دعوات هدم التاريخ والتراث والحداثة) وهدم اللغة (النبوية) وهدم العقيدة (الالحاد) وتنطلق الدعوة إلى جعل التراث بمثابة الكلأ المباح الذي يجوز إعادة تشكيله في ظل ظروف العصر وإخضاعه هو والتاريخ للمسرح والفن دون اهتمام بأي ضوابط معينة أو حدود ثابتة مع السخرية والاستهزاء بكل مايسمى بالقيم الثابتة أو الاخلاق والهجوم عليها من خلال المسلسلات والمسرح الفن (والمسرح التجريبي) وإعلاء الجنس والإباحيات وكل مايتعلق بالاغراء وتوهين الإسلام وانتقاصه بالقول بأنه دين من الأديان.

ولا شك أن الحرب المعلنة على القديم معلنة أيضاً على كل مايتصل به من الوحي والغيب والألوهية والبعث والنشور.

وهناك في مواجهة هذا صيحة (تقديس العقل) وإعلائه ومحاولة الانطلاق من كتابات بعض الفلاسفة التي تأثروا بالفكر اليوناني (ابن سيناء والفارابي).

والواقع أن الدعوة إلى هدم الماضي والقديم ترمي في مفهومها الحالي غير المعلن إلى شيء واحد هو الدين الحق: رسالة السماء، وينطلق التغريبيون من منطلق كاذب هو الادعاء بأن الإسلام دين عبادى لاهوتى يحمل طابع القداسة فلا صلة له بالفن ولا صلة له بالمجتمع وأن الميدانين قد انفصلا منذ وقت بعيد وهذه مقولة باطلة في شأن الإسلام وهي منطلق الخلاف بين مفهوم الإسلام ومفهوم العلمانية والماركسية جميعاً.

فالإسلام منذ نزوله منهج جامع للعلاقة مع الله تبارك وتعالى والعلاقة مع المجتمع، أما مفهوم أوروبا والغرب والكنيسة فلا ينطبق علينا ولسنا ملزمين به، والذين يرددون هذه المقولات ليسوا مسلمين فكرياً لأنهم تعلموا في مدارس الجزويت أو اعتنقوا الماركسية فلم يفهموا الإسلام الصحيح.

أما الثانية فهي موقف الإسلام من الحرية، والإسلام يقر الحرية المنضبطة التي تحمل قانون الأخلاق أساساً لكل حركاتها فالأخلاق جزء من العقيدة وتقوم على الالتزام والضوابط والمسؤولية الفردية والجزاء الأخروي.

ونحن ننفتح على العصر دون أن نفقد ضوابط الأخلاق حيث لا تحول ضوابط الاخلاق دون الانفتاح على العصر، ومفهوم التقدم في الإسلام جامع بين التقدم المادي والمعنوي وأخلاقية الأدب سابقة على فنيته لا تنفصل عنه.

●●●

إن هذه الدعوة الملحة إلى التغيير وتجاوز الواقع بمفهوم أن التغيير والتحول هو سنة الحياة لكل الموجودات أمر طبيعي ولكنه شطر المقولة الجامعة الصحيحة. إنها دعوى تطاردنا بشكل مثير في محاولة لاقتلاعنا من جذورنا وعزلنا عن قيمنا وماضينا وتاريخنا.

وهي دعوة مضللة حين تقف عند حد الاندفاع المطلق دون النظر إلى تكامل مفهوم (الثوابت والمتغيرات) الذي أقامه الإسلام والذي يدعو إلى قبول التغيير في إطار المنظومة الجامعة الكاملة نظرية التطور

(القائمة أساساً في مجال البيلوجيا) ثم فرضوها على القيم الاجتماعية في محاولة لهدم (القديم والتاريخ والماضي) بكل مايتصل به من عقيدة وقيم وذلك من وجهة نظر أصحاب الصراع مع الفكر الكنسي الأوروبي وخلاف العلماء مع الكنيسة ومن خلال تحول خطير طرأ على الفكر الغربي الذي كان في إبان المرحلة اليونانية قائماً على الثبات الكامل (ارسطو) فإذا به ينتقل إلى التحول الدائم (هيجل) وذلك شأن الفكر الغربي في إتصاله بالفلسفة اليونانية والفكر الروماني والمسيحية الغربية (وليست المنزلة) كشرائح ثلاث تشكل منها هذا الفكر.

أما نحن المسلمون فإن فكرنا الإسلامي يقوم على أساس منظومة أساسها (التكامل الجامع بين القيم) بين الدنيا والآخرة، والروح والمادة، والعقل والقلب، ومن هنا فإن للإسلام موقف واضح بالنسبة للعلم التجريبي القائم على قاعدة البحث والتجربة المعملية، وهو موقف القبول بينما له موقف واضح بالنسبة للعلوم الإنسانية الغربية فإنها تختلف مع مفهوم الإسلام لأنها تقوم أساساً على الفلسفة المادية المنفصلة عن جوانب الإنسان الأخرى الروحية والمعنوية، نعم نحن نؤمن بأن التحول سنة الحياة ولكن من سنة الحياة أيضاً تلك الثوابت التي يتحرك التحول في داخلها.

وتؤمن بأن عوامل الاستقرار والثبات لا يمكن أن توصف بأنها من علامات الخمول أو التأخر وليس هذا المفهوم الإسلامي يحول دون التقدم أو الاتجاه نحو المستقبل وأن أي عمل من أعمال التقدم يقام على قاعدة التحول وحدها فهو بعيد عن الصلاحية التي تسمح له بالاستمرار والعطاء لأنه منفصل عن القاعدة الأساسية.

وأن (العقلانية) وحدها ليست مصدراً سليماً للعطاء ومالم تكن مرتبطة بالجوانب الروحية والمعنوية وخاصة مايتصل بالروح والغيب فهي عاجزة وقاصرة.

نحن لا نؤمن بالتطور المطلق أو التغيير المتصل ولا نؤمن بأن كل تطور هو إلى الأحسن والثبات لا يعني السكون ولكنه يعني الدوام والبقاء المستمر وقيم الإسلام ثابتة وتحكم حركة التغيير.

•••

إن أخطر مايواجه المسلمين اليوم أن يأخذوا مفاهيم الغرب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية.

وأول مايضار من ذلك مفاهيم الحرب والسلام.

ذلك أن مفاهيم الغرب في الحرب والسلام تضع انتصار المسلمين في صف الاستحالة العقلية من حيث القدرة على تحرير بلادهم إزاء امتلاك عدوهم لقدر أكبر من العتاد، متجاهلين القاعدة الإسلامية الحقة التي عاش المسلمون لها وانتصروا بها وحرروا بها بلادهم من التتار والصليبيين وكونوا قوتهم الرادعة وهي أن الايمان بالله تبارك وتعالى وعقيدة الجهاد وصناعة الموت وحب الاستشهاد في سبيل تحرير الأرض والعرض قد وعد الله تبارك وتعالى أهلها بالنصر بالعدد الأقل في قانون صريح في قوله تبارك وتعالى: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾ سورة البقرة آية ٢٥٠ .

﴿**ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله**﴾ سورة الأنفال آية ٤٥ .

وقد انتصر المسلمون بهذا القانون مدى حياتهم وفي جميع معاركهم انتصروا بالعدد الأقل على الزحوف الضخمة التي حشدها الفرس والروم في أول الأمر وحشدها الصليبيون والتتار من بعد، ومازال هذا القانون سارياً وسائداً إذا مالجأ المسلمون إلى بيع أنفسهم وأموالهم خالصة لله تبارك وتعالى وحملوا أرواحهم على أكفهم وخرجوا لا يطلبون دنيا وإنما يطلبون مرضاة الله تبارك وتعالى (احرص على الموت توهب لك الحياة).

●●●

إن معاول كثيرة تضرب اليوم في جدار الإسلام، وان حفراً كثيرة توضع في طريق المسلمين حتى يعجزوا عن امتلاك إرادتهم أو تحقيق قيام مجتمعهم الأصيل القائم على النظام الإسلامي وفي محاولة لإخراج المسلمين من قيمهم ومفاهيمهم واحتوائهم داخل الفكر الوثني المادي وتتكاثف هذه المؤامرة في هذه المرحلة الفاصلة التي تنهار فيها النظم الضالة التي حاولت خلال قرن ونصف قرن في صراع بين العلمانية والماكسية أن تحتوي المسلمين وتصهرهم في بوتقتها حيث فرضت عليهم مناهج وايديولوجيات، كما فرضت عليهم قيماً ومفاهيم وقد خدع المسلمون ثمة ثم تنبهوا وتيقظوا واكتشفوا أبعاد المؤامرة التي تحاك لحصارهم وتدميرهم.

وليس من مخرج إزاء هذا الحصار إلا التماس المصادر الأصيلة والعودة إلى المنابع والارتباط بالحلقات المتصلة من التاريخ والتراث والاهتداء بالنور الكاشف من القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة الرسول ومواقفه وتعريفه للأمور ومواجهة للأحداث على النحو الذي

قام به محمد الفاتح والظاهر بيبرس وصلاح الدين وغيرهم ممن واجهوا المؤامرة في المرحلة الصليبية التتارية التي انتهت بهزيمة القوى المغيرة بعد قرنين من المقاومة والجهاد.

إن (المد الإسلامي) يتمثل اليوم في (الصحوة الإسلامية) من خلال حمايتها وترشيدها لتأخذ الطريق الصحيح ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ سورة الأنعام آية ١٥٣ ذلك هو المنطلق الوحيد للأمة الإسلامية بعيداً عن كل محاولات الجمود أو التعصب أو التطرف على نفس المنهج والأسلوب الذي رسمه محمد ﷺ وسار عليه الراشدون على مدى العصور مع الثبات على الحق والصبر وتقدير متغيرات الزمن وتطورت الظروف وتحولات الأمور ودون التوقف عن التوجيه والتصحيح وكشف زيف ماتلقيه القوى الهدامة وماتحاول أن تخدع به الشباب المسلم إيماناً صادقاً أكيداً لا يتزعزع بأن الإسلام هو المستقبل وهو الحق الذي ستنهار أمام زحفه كل تماثيل الزعامات الضالة وكل رموزها ومفاهيمها كما انهارت تماثيل لينين وستالين وداستها الأقدام كما سحق المنجل والمطرقة وستعود البشرية إلى الله لتجد في الإسلام وحده الضوء الكاشف والنور المبين.

الفصل الرابع :

المسمار الأخير في نعش العلمانية

كانت الماركسية هي المرحلة النهائية للفكر الغربي (الالحادي الاباحي) التي رسم لها أن تكون قمة السيطرة والتحول من العقائد الدنيئة والاخلاقية إلى التصور المادي الحاسم الذي يضع البشرية كلها إزاء التحول الخطير وكان الفكر الغربي بعد انسلاخه من المسيحية وتحوله إلى الفكر المادي قد مر بمرحلتين : الأولى : الفكر الليبرالي الرأسمالي الديمقراطي الذي عرفه الغرب والذي تنكر لكل مقومات عقيدة الالوهية والنبوة والغيب والوحي ثم انطلق من خلال الاقتصاد الحر إلى جهة مطلقة حيث اعتمد مفهوم دارون للتطور المطلق والتنكر لمفهوم [الثبات] وحمل معه مفهوم [الاستعلاء] على الشعوب المستضعفة والسيطرة عليها واستنزاف ثرواتها باسم العنصر الأبيض والتمييز العرقي واستقطاب العناصر المثقفة للولاء الغربي وقيادة المجتمعات حيث سيطر الاستعمار على معظم أقطار آسيا وإفريقيا وأصبحت أوروبا هي صاحبة السيادة والقيادة العالمية.

واستطاع اليهود السيطرة على الحضارة والثقافة الغربية فحولوها إلى منطق يرمي إلى سيطرتهم على العالم كله، فأذاعوا روح الاستغلال والاباحة والتحلل من القيم والأخلاق للتمكين للطابع الربوي العالمي

المسيطر على الاقتصاد البشري كله، ونشأت لتثبت ذلك وتدعمه فلسفات ومذاهب كان في مقدمتها.

(نظريات فردية في علم النفس وماركس في الاقتصاد ودور كايم في الاجتماع) وفرضت هذه النظريات البشرية التي لم تكن إلا فروضاً عقلية بشرية قابلة للصحة والخطأ، فرضت على المناهج الدراسية العالمية وسيطرت على مناهج التعليم في الوطن الإسلامي كله. وكانت هذه هي المرحلة الثانية التي صدعت كل القيم الاجتماعية والأخلاقية والتربوية التي نشأت في ظلها الإنسانية وعملت على تدمير قيم العدل والرحمة والإخاء والحلال والخير جميعاً وإعلاء قيم الظلم والحرام والشر تحت مسميات فلسفية مضللة كدعوى دور كايم أن الجريمة فطرة والزواج ليس فطرة.

ولما وصلت هذه المرحلة إلى غايتها كانت الشيوعية هي الحلقة الثالثة التي تستوعب كل شرور وآثام وأحقاد البشرية كلها ممثلة في نظام دموي قائم على الصراع الطبقي والاستبداد والسيطرة والطغيان وقد احتضن هذا النظام العالمي أنظمة أخرى محلية وقومية في محاولة لفرض الالحاد والعلمانية والتدمير بما يتوافق مع أوضاع البلاد العربية والإسلامية منها الشمولية وحكم الفرد والسيطرة الدكتاتورية.

ولكن كانت النتيجة الخطيرة بعد سبعين عاماً من توسع هذا النظام وسيطرته على بلاد وأمم كثيرة هي الانهيار والسقوط في قاعدته الأولى.

يقول البعض إن هذا السقوط يرجع إلى أن الماركسية فلسفة عملت على علاج مشاكل الإنسان بعيداً عن واقع الإنسان نفسه

وفطرته ومتطلباته وقد اتضح هذا الأمر من خلال موقفها من الدين والملكية الخاصة ونظرتها الجبرية للإنسان والمجتمع فضلاً عن أنها تعارضت مع مقررات العلم الحديث في القرن العشرين وذلك بعد أن حطمت نظرية انشتين وقوانين الدنيا ميكا الحرارية كل ما بنى عليه ماركس نظريته في القرن السابع عشر. ولأن الظروف الاجتماعية التي وضع فيها ماركس نظريته قد اختفت تماماً فقد تخلفت نبوءات ماركس في الثورة العالمية التي سيقوم بها العمال الذين تحسنت أحوالهم في ظل النظام الرأسمالي.

ومعنى هذا أن الصهيونية العالمية قد أرادت عن طريق الشيوعية أن تبرز إلى الوجود نظاماً جديداً يحقق آخر أهدافها في السيطرة العالمية وامتلاك العالم كله من أقصاه إلى أقصاه بعد تحقيق إقامة دولة اسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات (على حد تعبير الدكتور سعد الدين صالح).

ولكن سقوط الشيوعية يعني فشل الصهيونية العالمية في تحقيق هدفها الذي أوردته بروتوكولات صهيون والذي كان يعتبر عام ١٩٩٧ حداً فاصلاً له. وسوف لا تتوقف المحاولات لإقامة نظام عالمي جديد تحاول الصهيونية العالمية عن طريقه تحقيق السيطرة العالمية، ولكن ذلك لن يكون متيسراً الآن كما كان الأمر منذ سبعين عاماً فإن مياه كثيرة قد جرت تحت الكباري.

ولا شك أن الصحوة الإسلامية اليوم قد أصبحت قادرة على أن تحطم هذا الحلم المفزع، أو توقفه على الأقل عن الامتداد.

ولقد مرت الأمة الإسلامية بهذه المراحل الثلاث من خلال

سيطرة النفوذ الغربي عليها ولكنها لم تستسلم وقاومت وصححت طريقها وكشفت عن جوهر الإسلام واستطاعت أن تقدمه في ميادين كثيرة في قلب العالم الغربي نفسه .

ولقد هزمت االدعوات التي حمل لواءها النفوذ الغربي من ليبرالية ووجودية وماركسية وتبين أنها معارضة للفطرة وأنها عاجزة عن تقديم الأمن النفسي للإنسان الغربي لأنها قامت على فكر مادي عاجز عن العطاء مخالف لطبيعة الإنسان الجامعة بين الروح والمادة والقلب والعقل ولذلك فقد تهاوت هذه المذاهب الغربية المستمدة من الفلسفة المادية وسقطت لأنها لا تتعامل مع الإنسان بوصفه (قبضة الطين ونفخة الروح) ومن هنا جاء عجزها وقصورها وليس في الأفق الإنساني المعاصر ضوء يمكن أن يهدي النفس الإنسانية أو يسعدها أو يقدم لها الأمن أو أشواق الروح غير الإسلام وقد تأكد أنه لن تستطيع حضارة ما أن تقوم وتستمر مالم تكن قاعدتها الالتزام الأخلاقي والمسؤولية الفردية .

●●●

لقد كانت الشيوعية الماركسية هي قاعدة الصهيونية في السيطرة على العالم فلما تهاوت اليوم ظهر فراغ جديد لابد أن تملأه قوة أخرى تستمد قاعدتها من الفكر المادي والفلسفة المادية وتعمل على تدمير مقومات المجتمعات الإنسانية عن طريق الأدب والفن والثقافة والسينما والسرح والتلفزيون، فعن طريق هذه الأدوات يجري التحكم في شكل العالم ومشاعره، حيث تنضم القوى الغربية والعلمانية في منطلق جديد لايقاد نيران العنصرية والعرقية والقومية والإقليمية

وإحياء النحل والفرق والخلافات القديمة بين الشعوب والأمم انطلاقاً من النزعة الاستعلائية التي يحملها الغرب على الأجناس والأمم بدعوى تفوق الجنس الأبيض وهي كراهية تشمل كل ماليس غربياً بل هي أيضاً تشمل الإسلام وذلك لإثارة الخلاف بين أجزاء الوطن الإسلامي مع استعمال سلاح القروض والمعونات لفرض التبعية والخضوع.

وسوف تعجز العلمانية أن تقدم للبشرية منهجاً عالمياً للحياة والمجتمع مهما فعلت فقد أكدت السنوات السبعون فشل هذا النظام الاقتصادي الذي حاول أن يشكل منهجاً عالمياً يشمل كل جوانب الحياة ويحل محل الأديان المنزلة وسقطت هذه النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأنها ملفقة ولأنها عجزت عن العطاء بعد مرحلة من المبالغة والمغالاة في إدعاء قداسة المنهج وعنف التطبيق ودمويته وقساوته.

وتبين أن الناس أحرار بالفطرة يدقون أبوابها مهما لقنتهم الدكتاتورية الحمراء خلال سبعين عاماً من مفاهيم العبودية والصراع الطبقي فقد ظل مفهوم التطلع إلى الحرية مستكناً في الضمائر حتى جاء الوقت الذي استطاع أن يستعلن فيه.

وسوف تكشف الأيام في القريب عن انهيار كل منظومات الفكر العلماني البشري الذي يقوم على أساس الحياة الدنيا وحدها (الدهرية) ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾. سورة الجاثية آية ٢٤ .

ولابد من أن يبزغ ضياء منهج الله تبارك وتعالى الذي يقوم على

أساس الايمان بالله تبارك وتعالى. الذي منه تبدأ الأمور كلها وإليه تنتهي.

لقد قامت الماركسية (كحلقة نهائية تصل إليها البشرية) على فلسفة مادية بحتة تنفي مسألة الايمان بالله والغيب وهي لم تكتف بمحاولة إبعاد الدين وتجاهله بل أعلنت عليه حرباً دموية.

ومهما تقاربت المناهج العلمانية والماركسية في عجزها عن الإيمان بالله تبارك وتعالى ومهما التقت مفاهيم كثيرة واندفعت بالحضارة جملة إلى الاستعلاء والظلم ونهب ثروات الأمم ومؤازرة العدو الصهيوني فان كل هذا سيكون من أسباب سرعة انهيارها جملة ونحن نرى اليوم التضخم والانفاق العسكري والديون التي تغرق فيها الحضارة والتي تحول بينها وبين البقاء والتي تعجل بنهايتها.

ولن تستطيع هذه الحضارة أن تحقق وحدة البشرية فإن الظلم لا يتم له إلا الانهيار الذي وقع للحضارات السابقة. ولن يستطيع عبادة الطبيعة أو الدنيا أو الإنسان بديلاً من الله الواحد الأحد أن تحقق نصراً أو ثباتاً مالم يقم البناء على أساس العقيدة الربانية الصادقة وسينخر السوس في كل شيء وسيدق المسمار الأخير في نعش العلمانية بعد أن سقطت الشيوعية والشمولية وسقط الصراع الطبقي.

الباب الثاني :

كيف يملأ الإسلام الفراغ

الفصل الأول : إعادة النظر في المفاهيم التي زرعها النفوذ الأجنبي .

الفصل الثاني : ماتزال المؤامرة على الإسلام وبيت المقدس مستمرة.

الفصل الثالث : فلنذكر دائماً الغاية الأساسية.

الفصل الرابع : أزمة الفكر الإسلامي .

الفصل الخامس : مخطط احتواء الإسلام .

الفصل السادس : مؤامرة القضاء على الهوية الإسلامية .

الفصل الأول :

إعادة النظر في المفاهيم
التي زرعها النفوذ الأجنبي

إن الأحداث الكبرى التي تمر بالأمة الإسلامية اليوم هي بمثابة عامل حاسم للتوقف والمراجعة والنظر في أمر «المرحلة» التي أصبحت بأحداث الخليج في ذمة التاريخ فهي في حاجة كبرى إلي تحليلها والوقوف عند عناصرها ومهما كتب المراقبون والباحثون وأفاضوا في البحث فإنهم لن يخرجوا عن عامل أساسي كبير هو مصدر الخطر ماضياً وحاضراً ومستقبلاً حتى ليمكن القول أن كل عناصر الأزمة تعود إليه في النهاية .

يقول الاستاذ (ليوبولد قابس) المسلم محمد أسد :

إن السبب الرئيسي للإنحلال الثقافي والاجتماعي بين المسلمين يرجع إلى هجر المسلمين لروح التعاليم الإسلامية، لقد ظل السلام موجوداً ولكنه كان جسداً بلا روح .

كانت روح التعاليم الإسلامية من قبل هي المسؤولة عن قوة العالم الإسلامي فنتج عن تركها أن أصبح السبب المنشيء للقوة هو نفسه السبب المؤدي إلى الضعف .

لقد بنى المجتمع الإسلامي منذ بدايته على أسس دينية وحين ضعف هذا الأساس دب الضعف في البناء الثقافي.

إن الإسلام لايزال بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين أعظم قوة يمكن أن تنهض الهمم بالبشرية وهكذا تجمعت لبعثه من جديد.

ويقول باحث غربي آخر: إن الشريعة الإسلامية ليست حجر عثرة في سبيل التقدم كما يظن البعض، وإنما هي على العكس من ذلك تماماً. ان تياراً من الكتب أغرق المسلمين بالاعجاب الأعمى بالمدنية الغربية، حاولت هذه الكتب أن تقول إن الشريعة الإسلامية يمكن أن تخضع بسهولة للآراء الاجتماعية والاقتصادية في المدنية الغربية، إن تقليد المسلمين للمدنية الغربية كان مبرراً للتقدم تحت شعار تعبيد الطرق للتخلي تدريجياً عن أبسط مباديء الإسلام الاجتماعي.

إن الصفة الأساسية للمدنية الغربية تمنع التوجيه الديني في الإنسان منعاً باتاً وتفصل بين مجال الدين ومجال الحياة وهذا عكس الميزة الأساسية للحضارة الإسلامية هذه الأخيرة تقوم على توجيه الدين للإنسان في كل مراحل حياته المختلفة وتجعل الحياة والعبادة أمراً واحداً».

وهكذا تأتي قضية الوحدة الإسلامية التي تقوم تحت لواء وحدة الفكر والعقيدة مستمدة من الاستجابة للشريعة أعظم أساسيات النهضة والتقدم.

ونحن إذا نظرنا إلى عناصر الأمة نجد أن هذه العناصر: العرب

والترك والأكراد والفرس والهنود والزنوج والبربر والتتار كلها عناصر صهرها الإسلام في بوتقته الفكرية والعقيدية والروحية حين شكل عقلها وروحها في ضوء القرآن وعلى هدى التوحيد الخالص والتماساً لسنة محمد ﷺ.

وستظل هذه الوحدة الفكرية والروحية هي الأساس الجامع وسوف تنصهر هذه العناصر في البوتقة الكبرى فلا يبقى منها إلا جوانب الخير فيها متكاملة مع جاراتها ومتعارفة مع شقيقاتها وذلك بعد أن تكشف فساد النظرة القائمة على العنصرية والقبلية والطائفية.

وقد أعطت الأحداث التي جرت في العقود الأربعة الأخيرة منذ الحرب العالمية الثانية إلى اليوم فشل هذه الدعوات وسقوط هذه المحاولات وعجزها عن العطاء فهي كالشيء الغريب الذي يرفضه الجسم الإسلامي.

لقد حاولت القوى الأجنبية أن تجعل من مباديء الأقليميات والقوميات والاستعلاء بالعنصر في عدد من الأقطار العربية نموذجاً يغري باقي الأقطار باستقباله واعتناقه سواء أكان ذلك عن طريق العلمانية أو الليبرالية أو الاشتراكية.

وكانت هذه التركيبة الجامعة للمفاهيم الغربية والماركسية والاستعلاء بالعنصر أو الدم أو العرق أسلوباً للقضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة وعلى ضرب العناصر الإسلامية بعضها ببعض حتى لا يتحقق تجمع أصيل يمكن الأمة الإسلامية من قيام تكامل صحيح في مجال الاقتصاد أو سوق مشتركة أو صناعة جامعة.

ولا ريب أن توجه المسلمين إلى الوحدة الجامعة من شأنه أن يخذل

ويضعف قوى التعريب والتبشير والغزو الثقافي وأن يحطم دعوات الباطنية والبهائية والقاديانية.

هذه القوى بالإضافة إلى الفرق الهدامة كانت ومازال عاملاً يستعين به النفوذ الغربي حتى يحول بين الأمة الإسلامية وامتلاك ارادتها وكانت تلك هي التوصية التي أقرها مؤتمر عام ١٩٠٧ بقيادة نبرمان حين اجتمع علماء الغرب ليدرسوا مصير الحضارة الغربية ومن سيخلف الغرب في القيادة العالمية ولما أجمع العلماء على نهاية الحضارة ورشحوا هذا الشعب العربي الإسلامي الذي يملك المنطقة الجامعة بين قارتي إفريقيا وآسيا توصل خصوم الإسلام وقادة النفوذ الغربي وسلطان الاقتصاد الربوي العالمي إلى مطلب واحد هو خلق جسم غريب في قلب المنطقة يحول دون وحدتها وكان هذا الجسم هو الصهيونية العالمية.

وبذلك تحقق الهدف الأقرب وهو الحيلولة ولو إلى حين دون تمكين الأمة العربية الإسلامية من قيادة الحضارة العالمية أو من امتلاك إرادتها في وطنها.

وكانت الخطة التي مازال تنفذ حتى اليوم تفتقر حتى اليوم إلى :

أولاً : إدامة السيطرة والاحتواء على مقدرات المسلمين بإذلالهم وتدمير احساسهم بكرامتهم وذاتيتهم وخصوصيتهم، وكرامة المنهج الذي يحملونه.

ثانياً : إدامة تمزيق جماعتهم وخلق كل عوامل الفرقة والاختلاف والصراع الدائم بين الأجزاء حتى لا تلتئم وتعود إلى التلاقي في

الوحدة الجامعة.

ثالثاً: هدم حصانتهم الخلقية التي هي مصدر قوتهم ودفعهم إلى تدمير المناعة الروحية والنفسية وهي أكبر العوامل في هدم الأسرة وإشاعة روح الفحشاء والفساد بما يجعل الكل أدوات في خدمة الغاصب وتمكينه من استنزاف ثروات البلاد.

رابعاً: التقريب بين القيم الغربية والشعوب الإسلامية فهي الهدف المقصود من وراء دعاوى تطوير الإسلام لصهر المسلمين في بوتقة الغرب.

●●●

والواقع أن الثقافة الغربية المفروضة على المسلمين (سواء من خلال الصحافة أو المسرح أو أدوات الترفيه والإعلام) ليست ثقافة أصيلة بل هي جماع تدميري تقدمه عقول حاقدة على المسلمين ولقد ثبت عجز هذه الثقافة في بيئاتها الأصلية فكيف يستبدل المسلمون منهجهم الأصيل، بمناهج بشرية مضطربة عاجزة عن العطاء.

لقد تكشف منذ قريب عجز الماركسية وثبت عجز الليبرالية من قبل منذ دخلت بلاد المسلمين وتبين أن التجربة الغربية منذ عرفت في بلادنا وهي تحمل لنا من الهزائم والأسواء ما كان بعيد الأثر في مجتمعاتنا وأسرنا وأبنائنا، حيث توقف النظام الإسلامي وحجبت الشريعة الإسلامية وفرضت العلمانية والنظام الربوي وكان له تأثيراته الخطيرة في المصرف والمحكمة والمدرسة جميعاً وتبين أن هناك فوارق عميقة بين الديمقراطية الغربية وبين الشورى الإسلامية، وكذلك بين

العدل الاجتماعي الإسلامي وبين الاشتراكية وبين مفهوم الانتماء الجامع للقوميات في الإسلام وبين مفهوم القومية الغربية التي قامت أساساً في أوربا لتهدم وحدة المجتمع المسيحي ولتفتح الطريق لسيطرة النفوذ اليهودي الذي كانت الوحدة المسيحية تحول دون تمكنه من السلطان.

ولقد جاء النفوذ الغربي إلى بلادنا وهو يحمل شارتين: الشارة الأولى: تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة بإحياء الاقليميات والقوميات.

والشارة الثانية: وهي إحياء المفاهيم القبلية والعنصرية والطائفية وإعطاء بعض الفرق الباطنية القديمة التي اندثرت حياة جديدة لتكون سبيلاً إلى منع المسلمين من الوصول إلى غايتهم.

ولكن التجربة الطويلة خلال أكثر من قرن ونصف من الزمان مكنت المسلمين من فهم أبعاد المؤامرة، كما اثبتت عجز محاولات التفرقة والتدمير عن تحقيق غاياتها وذلك لصلابة جدار الوحدة القائمة على التوحيد الذي غرسه الإسلام في أعماق الأمة منذ اربعة عشر قرناً.

ولقد تبين أن هذه الأمة متكاملة في عناصرها الموزعة على أقطارها والتي يجد كل قطر منها حاجته في القطر الآخر وأن معونة الأخوة تحت لواء الإسلام أقوى من استيراد المعونة من خارج الأمة الإسلامية ولقد عمد النفوذ الأجنبي عن طريق قوى ومؤسسات إلى تعميق الخلاف بين عناصر الأمة الإسلامية وخلق جو من الكراهية والحقد وفرح بذلك فرحاً شديداً لأنه استطاع هدم هذا الحائط الحصين، ولكن عندما تكشفت الحقائق تبين أن ذلك كان هدفاً وأن كل ما قبل حول ذلك كان

مبالغاً فيه فإن كلمة التوحيد ماتزال قادرة على الجمع بين الشقيقين وإن كانا من قوميتين مختلفتين.

وأن كل ما أعيد ابتعاثه من خلافات قديمة لتأجيج نار الخلاف كان أمراً مرفوضاً فقد انتهت ظروفه وأوضاعه وجدت أوضاع جديدة وعرف أن العدو هو الذي يؤجج النار القديمة ليحول بين أجزاء الأمة وبين الالتئام بعد أن مزقتها مؤامرات الأعداء.

إن عملية تمزيق الأمة الإسلامية إلى وحدات تتقاتل وتتصارع هو أخطر محاولة للقضاء على الهوية التاريخية القائمة على العقيدة والأرض وروح الجماعة.

وعلى حد تعبير الدكتور محجوب عمر: لقد عرف الغرب منذ بدء الاستعمار في العصر الحديث أن القلعة التي يتحصن فيها الشعوب هي تاريخها وحضارتها وعقيدتها لذلك شنوا الهجوم تلو الهجوم على هذه القلعة واستطاعوا للأسف أن يشوهوا عقول أجيال وأجيال بأن منعوا دراسة التاريخ الأصيل للأمة واستبدلوا به دراسة تاريخهم وأسوأ الأمثلة لذلك هو ماحدث مع فلسطين التي تعد الآن بؤرة الأحداث الحقيقية.

إننا في حاجة إلى حسم عديد من المفاهيم الموضوعة في صورة التضاد الإسلام والقوميات، الوحي والعقل، العلم والدين، الروح والمادة إلخ. كذلك فنحن في حاجة إلى إعادة ترتيب سلم القيم من جديد لقد جاء الإسلام ليقدم صيغة جامعة لكل منهما في نطاق مفهومه كمنهج حياة ونظام مجتمع ووضع الركائز الأساسية القائمة على امتداد العقيدة وامتداد اللغة وامتداد التاريخ وامتداد الأرض وأن لا تقبل أي



الفصل الثاني :

ماتزال المؤامرة على الإسلام وبيت المقدس مستمرة

إن المؤامرة على الإسلام وعلى الأمة الإسلامية مؤامرة قديمة ترى علاماتها الأولى في موقعتي مؤتة وتبوك في عصر الرسول ﷺ الذي اختار الرفيق الأعلى وهو يعد جيش أسامة لغزو أرض الروم وكان هذا إشارة إلى منطلق الخطر.

وقد امتدت المعارك بين الدولة الإسلامية في الشام وبين بيزنطة فترة طويلة كان فيها أهل طرابلس يعيشون في لباس المرابطين المجاهدين الذين لا يغفلون عن الثغور لحظة من ليل أو نهار.

وعندما فتح المسلمون افريقيا وامتد الإسلام إلى القيروان وطنجة أصبح البحر الأبيض المتوسط كله بمثابة خط دفاع قوي حيث اقيمت الرباطات وامتدت من طول الساحل في أكثر من ألف موقع من طرابلس الشام إلى رباط الفتح إلى اسفى ومابعدها على المحيط الاطلسي وفيها رجال نذروا أنفسهم لله يرقبون كل حركة على الشاطيء المقابل، حتى إذا أوقدت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو بعض ليلة وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحواً من

شهرين وفي كل موضع فيها رجال مرئيون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة يقصد ساحل بلاد المسلمين الأوعى بها كل من كان في المحارس.

وظل الموقف يشتد ويلين على حدود الدولة الإسلامية مع الروم حتى جاء محمد الفاتح الذي استولى على القسطنطينية وغير تاريخ أوروبا كلها بل غير تاريخ العالم كله قال عمرو بن العاص: بينما نحن عند رسول الله نكتب إذ سئل:

أي المدينتين نفتح أولاً: القسطنطينية أم الروم؟

فقال عليه الصلاة والسلام: مدينة هرقل نفتح أولاً (يعني القسطنطينية).

●●●

ولكن الإسلام لم يضرب من جهة الروم وحدها بل انه ضرب من قوتين كبيرتين هما: التتار والصليبيين.

أما التتار فقد انطلقوا حتى دخلوا عاصمة الخلافة في بغداد ٦٥٦هـ وضربوها وتعاونوا مع الصليبيين في حلف غير مقدس لحصار الإسلام بين فكي كماشة.

ولكن المسلمين استطاعوا من دحر قوة التتار في عين جالوت حيث هزموا لأول مرة في تاريخهم وارتدوا على أعقابهم ولما يمض على دخولهم بغداد أكثر من عامين وذلك بقيادة قائد المسلمين الظاهر بيبرس.

وامتدت الحروب الصليبية قرنين من الزمان وابرزت كفاءات

وبطولات إسلامية غيرت وجه التاريخ وكان في مقدمة أبطالها عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين وبيبرس وقلاوون.

لقد أرسى نور الدين معالم العودة إلى منهج الله تبارك وتعالى فتكونت المدرسة الإسلامية التي وهبت نفسها للجهاد وباعت نفسها لله تبارك وتعالى فكتب لها النصر على يد صلاح الدين في مواقع كثيرة وفي مقدمتها حطين ٥٨٣هـ (١١٨٧م).

فتح عماد الدين زنكي الرها، وأمضى نور الدين ثلاثين عاماً من الجهاد في ميادين الموصل والشام ومصر وعندما انتقلت راية الجهاد إلى صلاح الدين عرفت أوروبا كلها كيف تمثل الإسلام حقاً في رجل محارب مؤمن بالله صادق الوعد حتى أحنى القادة الثلاثة للحرب الصليبية التالية هاماتهم تقديراً للرجل الذي أقبلوا ليقاتلوه.

وكانت موقعة (حطين) حاسمة في وجه الصليبيين كما قامت معركة (عين جالوت) في وجه التتار.

ولما قاد لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة إلى مصر هزم هزيمة منكرة وسجن في المنصورة حتى افتداه الفرنسيون حين اذنت سماحة الإسلام بإخراجه حياً دون قتله. ولكن لويس غدر بالمسلمين بعد خروجه من مصر فقد ذهب إلى عكا وظل بها يحيك المؤامرات بين أفراد المسلمين للقضاء على وحدتهم وتفريق كلمتهم واتصل بالمغول لمفاوضتهم لتطويق العالم الإسلامي، ولم يتوقف لويس عن المؤامرة حين قاد الحملة الصليبية إلى تونس بعد ذلك بسنوات حيث لقي مصرعه.

وانتهت الحروب الصليبية بعد قرنين بالهزيمة الكاملة للغرب الذي انسحب بينما كان يبيت غدراً بالمسلمين ويعد نفسه لجولات جديدة لولا قيام الدولة العثمانية.

الدولة العثمانية قذى في عيون خصوم الإسلام:

وكانت الدولة العثمانية منذ اليوم الأول قذى في عيون خصوم الإسلام فقد حمت الوجود الإسلامي كله من المغرب إلى المشرق كله من مؤامرات الغرب بعد أن استطاعت أن تقتحم أوروبا من البلقان وأن تصل إلى أسوار فيينا وأن تسيطر أكثر من ثلاثة قرون على قلب أوروبا.

ومن ثم توالت المؤامرات على الدولة العثمانية بعد أن استطاع محمد الفاتح اقتحام القسطنطينية وتحويل كنيسة أياصوفيا إلى منارة إسلامية.

وقد كشفت الأبحاث أن مائة مؤامرة أعدتها أوروبا وحاولت إنقاذها من أجل تمزيق الدولة العثمانية في الفترة التي تلت ظهور هذه الدولة وتوسعها في أوروبا.

ولقد كان دخول العرب في الدولة العثمانية ضرورة تاريخية من أجل حماية الوجود الإسلامي وكان برضا العرب وتقديرهم لدور الدولة العثمانية والوقوف في وجه الخطر الصليبي الذي صاحبه نهضة الإفرنج واكتشاف رأس الرجاء الصالح وبدأ عصر الكشف

الاستعماري وقد دخلت الجزائر باختيارها وكذلك أمراء لبنان وشريف مكة ولم يكن هذا عملاً استعمارياً كما حاول الغرب تصويره، بل كان من أجل التآزر على صد الخطر عن العالم الإسلامي مما أخر احتلاله ما بين ثلاثة وأربعة قرون.

فقد بدأت المؤامرة الغربية مرة أخرى بعد سقوط الأندلس حيث اندفعت اسبانيا والبرتغال لمحاصرة العالم الإسلامي من ناحية افريقيا والسيطرة على المغرب والجزائر ثم ورثتهما فرنسا وانجلترا، بينما انطلقت بريطانيا للسيطرة على الهند وانطلقت هولندا للسيطرة على ارخبيل الملايو واندونيسيا وذلك في خطة ماكرة لمحاولة وضع الأمة الإسلامية بين فكي الكماشة مرة أخرى، وجاءت المرحلة التالية تحمل نذرها الخطيرة التي مازلنا نعيش فيها إلى اليوم.

فقد جرت المحاولات لتمريق الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة الإسلامية وكان الغرب يعلم أن حضارته سوف تنهار يوماً كما انهارت الامبراطورية الرومانية ومن هنا حاولت بريطانيا التي كانت لا تغيب عن مستعمراتها الشمس دراسة الوسائل والغايات التي تمكن الغرب من استمرار سيطرته وكانت خطة كامبل نيرمان سنة ١٩١٧ التي قرر علماء التاريخ فيها مايلي:

أولاً: أهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوي للاستعمار فهو الجسر بين الشرق والغرب وملتقى المواصلات وطرقها في العالم وأن من يسيطر على شواطئه الجنوبية والشرقية يستطيع التحكم في العالم.

ثانياً: أكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن في البحر

المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفي حوضه حيث شهد نشوء كل الديانات والحضارات وأنه يسكن في هذه المنطقة شعب واحد يتوافر له وحدة التاريخ واللغة والدين وكل مقومات التجمع والترابط هذا فضلاً عن ثرواته الطبيعية ونزعة أهله للتحرر فلو أخذت هذه المنطقة بكل الوسائل الحديثة وإمكانيات الصناعة الأوروبية وانتشر التعليم فيها فإنه ستحل الضربة القاضية حتماً بالامبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار الغربي فيجب اذن على الدولة ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار (تجزئة) هذه المنطقة وإبقاء شعبها على ماهو عليه من تفكك وتأخر وان تعمل على وضع هذه المنطقة المجزأة المتأخرة مع بقاء شعبها على ماهو عليه من تفكك وجهل وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي.

وكإجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة إقامة حاجز بشري قوي وغريب في منطقة الجسر البري الذي يربط آسيا وافريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة.

والمعروف ان الاستعمار كان قد التقى في هذه الفترة مع الصهيونية في مخططات استعماره وفرض النظم الربوية على البلاد التي احتلتها الدول الكبرى تمهيداً للخطة الجديدة.

تلك الخطة التي طبقت حين حاصرت الحملة الفرنسية مصر في خطة للسيطرة على فلسطين والشام في صراع مع بريطانيا على طريق الهند وكانت فرنسا قد سيطرت على لبنان وفتحت أبوابه أمام

الإرساليات التبشيرية التي تركزت بعد في القسطنطينية ومصر والشام.

ومضت الخطة إلى غايتها في تمريق الدولة العثمانية بعد أن تم التآمر على السلطان عبدالحميد الذي قاوم مؤامرة سيطرة اليهود على القدس فقد وقف السلطان عبدالحميد موقفاً مشرفاً حاسماً إزاء مؤامرة الصهيونية ورفض إغراء هرتزل له الذي عرض عليه خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية من أجل السماح لليهود بدخول القدس زائرين أو مقيمين ووقف بصلابة في وجه هذا الخطر وكان قد دعا إلى الوحدة الإسلامية الجامعة وسعى إليها في مرحلة ضعف الدولة العثمانية وظل صامداً حتى أطيح به وكانت الاطاحة به هي الخطوة الأولى نحو اسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق الدولة العثمانية.

وكانت الماسونية والاتحاديون في تركيا واليهود بمطامعهم في فلسطين وراء سقوط السلطان وكان الاتحاديون قد مهدوا لإدخال الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى لتمزيقها وتوزيع اسلابها على الدولتين فرنسا وبريطانيا.

ومن أجل ذلك انعقد مؤتمر برلين الذي انفذ هذه المؤامرة وفي نفس الوقت ظهر (وعد بلفور) الذي فتح فلسطين أمام اليهود في مؤامرة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً مازالت تخطو منذ ١٩١٨ إلى اليوم تحت اسمين:

من النيل إلى الفرات وإعادة بناء هيكل سليمان.

ويرى كثير من المؤرخين أن الحرب الصليبية التاسعة التي جاءت بعد أكثر من ثمانين عاماً من انتهاء الصليبية الثامنة كانت هي دخول

بريطانيا إلى القدس عام ١٩١٧ وحين اعلن اللورد اللنبي :

(الآن انتهت الحروب الصليبية) .

وعندما وقف غورو الفرنسي عند قبر صلاح الدين في دمشق وقال :

«ها نحن قد عدنا ياصلاح الدين»

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى مزقت الدولة العثمانية ووزعت أسلابها وأقيم فيها نظام علماني يرفض الإسلام ويكتب من الشمال إلى اليمين، بقيادة أتاتورك في محاولة لاغراء المسلمين والعرب بهذا النظام الجديد، ووقفت الأمة الإسلامية كلها في قبضة النفوذ الاستعماري وفتح الباب أمام تحقيق وصية (تيرمان كامبل) التي صدرت ١٩١٧م بإقامة عنصر غريب في المنطقة الفاصلة بين آسيا وافريقيا .

ودخلت الأمة الإسلامية في مرحلة الخطر حيث حاصرتها القوى الغربية والشيوعية والصهيونية جميعاً .

وكانت أولى خطوات العلمانية التركية إسقاط الخلافة الإسلامية تمهيداً لإقامة إسرائيل .

وكان إسقاط الخلافة الإسلامية هدفا حيويا خطيرا في نظر النفوذ الغربي حتى لا تقوم للمسلمين قائمة من بعد وهو هدف تآزرت عليه كل القوى غير الإسلامية لتحقيقه .

ويوم أن وقف (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا وقد أمسك المصحف الشريف بيده من فوق منبر مجلس العموم البريطاني وقال :

(مادام هذا الكتاب باقياً في الأرض فلا أمل لنا في اخضاع المسلمين بل نحن على خطر منه في وجودنا نفسه).

يوم وقف هذا الموقف كان واضحاً للغرب ولأوروبا وللنفوذ العالمي المسيحي واليهودي مدى الخطر الذي يحيط بالإسلام والمسلمين.

ومن هذا كانت يقظة الإسلام في مواجهة الحملة الصليبية التاسعة عن طريق القرآن نفسه.

واليوم تجدنا وجهاً لوجه أمام المؤامرة.

فقد وقع حادث محاولة احراق المسجد الاقصى (اغسطس ١٩٦٩) وتوالت المحاولات حتى كاء اليوم الذي حاول فيه بعض المتطرفين اليهود وضع حجر الأساس لهيكل سليمان في قلب المسجد الأقصى وذلك بالرغم من أن كل الدلائل تؤكد أن بني إسرائيل لم يتركوا في تاريخهم القديم أي أثر للهيكل الذي حرق مرتين الأولى على يد بختنصر ملك الكلدان الذي هاجم أورشليم ٥٨٦ قبل الميلاد. وكذلك الهيكل الذي حطمه الامبراطور الروماني تيتوس عام ٧٠ من الميلاد عندما أحرقت أورشليم (فلسطين) بسبب ثورة اليهود على حكم الرومان.

فلما ثاروا مرة أخرى في عهد الامبراطور اوريانوس عام ١٣٥ ميلادية دمرت أورشليم تماماً وأزيل الهيكل من أساسه وحرثت أرض المدينة حرثاً وأقيم مكان هيكل سليمان معبد وثني باسم جوبيتر رب الأرباب عند الرومان.

ولما اعتنق الرومان المسيحية في عهد قسطنطين في القرن الرابع لم يكن هيكل سليمان أي أثر وفي سنة ٦٣٦م فتح المسلمون فلسطين فأصبحت عربية لحماً ودماً أي عادت إليها عروبتها فقد كانت عربية منذ فجر التاريخ.

ولكن الصهيونية لا تعترف بحقائق التاريخ وتعمل على إقامة نموذج لهيكل سليمان ويزعمون أن الجدار الغربي للمسجد هو آخر ما بقي من هيكل سليمان القديم ويسمونه حائط المبكى وهي تسمية سياسية لم تكن معروفة من قبل وعد بلفور ودخول الانجليز القدس عام ١٩١٧ وهو مايسميه المسلمون حائط البراق نسبة إلى البراق الشريف.

ولقد قامت لجنة محايدة عام ٩٣٢ من قبل عصبة الامم للفصل في هذه القضية واثبتت في حكم صدر لها بأنه لا حق مطلقاً لليهود في هذه المنطقة وقد اشترك في هذه القضية محمد على علوبة وأحمد زكي باشا شيخ العروبة ولكن المناورة مانزال مستمرة.

والذي يعنينا اليوم أن نعرف وجه المقارنة بين الحروب الصليبية وبين الاحتلال الاستيطاني اليهودي القائم اليوم فإنه يحاول الاستفادة من تجربة المسلمين خلال معارك حطين وغيرها وعلى المسلمين أن يصمدوا في وجه الخطر كما صمد المسلمون إبان الحروب الصليبية وعليهم أن يستعينوا في مقاومتهم بأسلوب القرآن وليس هنا طريق غير الجهاد وتعبئة القوى والصمود والصبر والمرابطة.

﴿يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾. سورة آل عمران آية ٢٠٠.

الفصل الثالث :

فلنذكر دائماً الغاية الأساسية ولا تشغلنا الجزئيات

ماتزال الكلمة الأولى هي الكلمة الأخيرة : هذا وطن الإسلام الذي سرق منه واستولى عليه الاستعمار وحاصر دينه وعقيدته في مؤامرة ضخمة لتدميرهما وتحويل هذه الأمة إلى عبودية الأممية والخضوع للحضارة الغربية والانصهار في المجتمع العالمي المادي العلماني الذي مرق من العبودية لله تبارك وتعالى مفكراً هذه الرابطة متحللا منها داعياً إلى نقضها في محاولة للخروج عن سنن الله تبارك وتعالى.

وبالرغم من مرور أكثر من مائة وخمسين عاماً على الوطن الإسلامي وهو محاصر في دائرة النفوذ الغربي بشكل أو بآخر وبالرغم من جهاد الأبرار على طول هذا المدى في سبيل الحفاظ على البيضة وحماية الفكرة.. فإنه مهما بدا أنه حر في حركته فهو مقيد محاصر مصادرة ثرواته ومقدراته، مغرّب شبابه ورجاله حيث تحتويه دعوات الماركسية والليبرالية والقومية والفرعونية في محاولة مستمينة لفصله عن عقيدته ولتحطيم وحدته الكبرى بعد أن أسقطت خلافته ليظل دائماً ممزقاً مستذّلاً.

ولقد عملت اليقظة الإسلامية دائبة على تحريره من قيوده وخطت في سبيل ذلك خطوات واسعة انتقالاً إلى الصحة) في سبيل الوصول إلى (النهضة) غير ان كثافة ردود الأفعال ومضاعفة النفوذ الغربي لعمليات التغريب والغزو الفكري فإنها ماتزال تعمل في محاولة مستميتة لتصهرنا في بوتقة الغرب.

يأتي هذا الخطر عن طريق التعليم والثقافة والصحافة مما يتطلب منا الالحاح الدائم على تذكر الغاية الأساسية وهي حماية أمتنا من الخطر المسلط على منهجنا الأصيل.

إن تتابع محاولات الاحتواء التي تجري اليوم تحت أسماء مختلفة تحاول أن تصورنا في صورة الأمن الخادع ظناً منا أننا قد امتلكنا إرادتنا فلا خوف من صهرنا في بوتقة الأممية العالمية أو القضاء على تميزنا وخصوصياتنا التي أعطانا إياها الإسلام منذ أربع عشر قرناً والتي ماتزال هي أخطر مايجب الحفاظ عليه وحمايته والتضحية بكل شيء في سبيل الدفاع عن هذه الخصوصية وهذا التميز فهو عنوان إسلامنا الذي ندافع عنه بالأرواح وبالأجساد المتراصة.

إن مهمتنا الحقيقية هو (البناء على الأساس) لسنا نطالب بالعودة إلى الماضي أو إحياء التاريخ ولكنا ندعو إلى التماس أصول منهجنا الذي بني عليه كياننا منذ أربعة عشر قرناً: هذا المنهج المرن الواسع الأطر القابل لمتغيرات العصور والبيئات دون أن يتهم بالجمود أو التطرف إن النفوذ الأجنبي بهذه الجريمة التي ارتكبها منذ مائة سنة حين حجب منهجنا الإسلامي وشريعتنا وهدم وحدتنا الكبرى قد خالف طريقنا وفتح أمامنا السبل المتفرقة المضطربة وقسم عقيدتنا ومزق وجهتنا بين

مذاهب وايدلوجيات بشرية مضطربة وقع الغرب في منزلقها لأنه اختار أن يترك ميراثه السماوي جملة، أما نحن المسلمون فقد وجدنا انفسنا على الجادة إزاء رسالة خالدة وكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومنهج أصيل جامع وتاريخ عريق تتمثل فيه تجربة المسلم في سبيل بناء المجتمع الرباني (وإن لم يصل بعد إلى تحقيقها على الوجه الصحيح).

فإذا نحن طالبنا أن نزيل هذه المرحلة المظلمة من التبعية للغرب حين فرض علينا قانونه الوضعي ونظامه الربوي ومنهجه العلماني ارتفعت الاصوات تصفنا بالجمود والتخلف والرجعية، وما نحن من ذلك كله في شيء، ولكنا فور أن نصحح الخطأ ونزيل تبعية فرضت ولم نقبل بها يوماً واحداً من أيام حياتنا الماضية وكنا نتطلع في كل صباح لأن نعود إلى المنابع ونلتمس أصالتنا ونلتمس طريقنا الأصيل عملاً بالآية الكريمة:

﴿وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ سورة الأنعام آية ١٥٣.

نحن نختلف عن أصحاب الولاء للتبعية الغربية في أننا نطالب بتصحيح المسيرة، مستمدين ذلك من واقع حياتنا، فهي ليست معارضة خلاف أو خصومة، ولكنها مراجعة تلتمس الوصول إلى الجذور والمنابع والبناء عليها، مراجعة تحرير من تبعية هدف غربي أو ولاء لهذا المنهج أو ذاك من مناهج البشرية التي أثبتت التجربة فساد تطبيقها وسقطت في بلادها التي أنشأتها، وهي مراجعة يطالبنا بها العالم كله اليوم بعد أن أصبح الإسلام هو الأمل الوحيد للبشرية

لاخراجها من الظلمات إلى النور.

فها نحن نرى أعلام الغرب وعلماءه يعلنون موقفهم من الإسلام ويكشفون عن فساد تلك الايدلوجيات واضطرابها وعجزها عن العطاء وها هم رجال القانون الغربيون في عديد من المؤتمرات العالمية يعلنون أن الشريعة الإسلامية هي أمل البشرية ومطمع أهلها، يقولون هذا بينما أهلها مازالوا غارقين في تبعية بغيضة للقانون الوضعي بكل سوءاته وآثامه وحرمانه للأمة الإسلامية من حماية حدود الله تبارك وتعالى وتطبيقها.

●●●

٢- إننا في حاجة دائمة إلى وعي رسالتنا وأمتنا ومهمتنا التي سوف نسأل عنها بين يدي الله تبارك وتعالى وهي الذود عن أمانة الدعوة إيماناً بأن هذه الأمة الإسلامية هي الأمة الخاتمة المصطفاة لحمل رسالة التوحيد إلى العالمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأن جميع الرسالات التي سبقت كانت بمثابة تمهيد وإعداد لهذه الرسالة الخاتمة وأن (الصحوة) في الأمة تنبعث دائماً من داخلها من منطلق تصحيح المسيرة وليس بعامل خارجي إلا أن يكون الوعي بالخطر الذي يحيط بها.

وقد صدقت مقولة شيخنا أبي الحسن الندوي حين يقول:

(إن الصحوة الإسلامية هي صفة الإسلام ويجب أن تتصل اتصالاً وثيقاً في حلقاتها لأنها الأمة المختارة والأخيرة والمبعوثة للإنسانية كلها). وقد امتاز الإسلام بأنه يختلف عن الدعوات السابقة

بأن له فترات إصلاحية فورية جذرية تدعو إلى العودة به إلى الأصل الأول.

حيث لم تخل مرحلة من وجود مصلح أو مجدد أو داعية للصحوة الإسلامية في هذا البلد أو ذاك على اختلاف المساحات والأرجاء فالصحف الإسلامية في الحقيقة من طبيعة الإسلام ويجب أن تتصل اتصالاً وثيقاً في حلقاتها فإنها الأمة المختارة أو الأمة المبعوثة للانسانية جمعاء ومن هنا نفهم معنى (الأمانة) الكبرى التي يحملها المتصدرون للدعوة الإسلامية ومدى خطر المسؤولية الملقاة على عاتقهم وأهمية الدور الذي هم مكلفون به، والذي يجب أن يصل بهم إلى اليقين الوثيق في صدق هذه الدعوة وانتصارها وضرورة بذل النفس والنفيس في سبيل تبليغها وحمايتها وتصحيح المفاهيم ويبدو ذلك واضحاً في حديث رسول الله ﷺ:

يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف المغالين وتزييف المبطلين وتأويل الجاهلين:

فمهما ادلهمت الأحداث واستعلى الباطل وارتفع صوت الضلال وظن الناس أن الأمور كلها قد أسلمت نفسها إلى هذا الانحراف الذي تنطلق فيه عجلة الحضارة المعاصرة والدول التي تسوقها نظم السيطرة الربوية العالمية بكل ما تمثله من فساد خلقي وانحراف وإسراف واندفاع نحو الهاوية فإن نور الحق لابد وأن يسطع وأن ترتفع كلمة الحق ولابد ان تغلب وكل من يسير في غير اتجاه الحق فإنما يسير ضد تيار التاريخ والفطرة.

ومن سار ضد تيار الفطرة لابد أن يتحطم ويدمر ولقد استعلت

الحضارة الغربية بالباطل وساقت العالم كله وراءها الآن وفرضت مفاهيمها وقيمها وبقي ضوء الإسلام ممتداً وإن كان خافتاً لم ينطفىء أبداً ولاتزال الضربات تتوالى على المسلمين في كل مكان: ضربات الاقتصاد والتحلل الاجتماعي وكلها تستهدف أن يستسلم المسلمون ويقبلون بالانصهار في هذا النظام المنهار المتعفن الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة.

ولكن بقي على المسلمين أن ينظروا إلى غد وأن يؤكدوا موقفهم المسؤول عن الأمانة التي حملهم إياها الحق تبارك وتعالى ولا يتراجعوا أو ينزعجوا أمام التضخم والاستعلاء واتساع منطلقات الباطل وظلمه وفساده وتعدد معسكراته وعليهم أن يثبتوا واثقين بالنصر من الله لهم وكل يوم لهم فتح قريب.

ويجب أن يعلم المسلم أن كل هذا الفساد إلى زوال وأن الله تبارك وتعالى يأتي الأرض ينقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه ومن هنا فيجب أن يكون المسلم مطمئناً إلى اليقين في الله وأن يظل المسلم مقاتلاً لا يستسلم أمام أهواء الحضارة أو فساد التيارات الفكرية العصرية غير مستسلم لها، يقيم شرعة الله في نفسه وبيته وآله والمسلم مهما ادلهمت الأحداث فهو واثق من فرج الله ولا يميل أبدا إلى سوء الظن ولا يتقبل صور التشاؤم أو ظلام الأحقاد مهما كان قائلها بارز الصيت أو مكتوبة في صحف لامعة أو شهيرة فذلك ومايريده العدو الذي يطمع في أن يصل المسلم إلى مرحلة الاستسلام واليأس وكيف ينفض المسلم يده من الأمر وهو يعلم مسؤوليته أمام الله تبارك وتعالى على هذه الأمانة القائمة في عنقه وذلك الوعيد الصادق الأكيد بالنصر

مهما ادلهمت الأحداث حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا أتاهم نصرنا. وباب السماء مفتوح ونصر الله قريب إن مسؤوليتنا أن نصمد في موقفنا مؤمنين بأننا على الحق مرابطين حتى ننتصر أو نستشهد.

إن الوعي بحقيقة المخطط المرسوم لاحتواء الاسلام والمسلمين يجعلنا قادرين على التماس الطريق الذي رسمه الحق تبارك وتعالى لنا للخروج من كل مأزق، وعلى شبابنا المسلم أن يكون على وعي كامل بعدة حقائق أساسية:

أولاً: أن مجتمعنا القائم الآن يمكن أن يكون نقطة انطلاق إلى واقع إسلامي لأن قاعدته الأساسية ماتزال سليمة وصالحة إذا أحسن توجيهها نحو البناء على الأساس وفق مفهوم النظام الإسلامي، غير أن هذا الواقع القائم الآن ينقصه الكثير ويتطلب تصحيح كثير من مفاهيمه وقيمه وتعديل مساره نحو الطريق الأصيل وأهم مايتطلبه هو التعامل الاجتماعي من قاعدة (الحفاظ على الحلال وتجاوز الحرام) سواء في المعاملات التجارية أو في العلاقات بين الرجل والمرأة.

ذلك لأننا كمسلمين وقد تشكل مجتمعنا منذ أربعة عشر قرناً على مفاهيم الإسلام نؤمن بالقاعدة الأخلاقية الثابتة أساساً متيناً للبناء الاجتماعي والتعامل الاجتماعي محرراً من شبهة الربا في الاقتصاد وشبهة الاباحة في المجتمع.

وهذا التوجه هو الذي تنظمه الشريعة الإسلامية فتحفظ المسلم من الانحراف وتحمله على تجاوز الحرام سواء في تعامله الاقتصادي أو الاجتماعي. وهذا ماينقص مجتمعنا اليوم الذي يندفع بقوة نحو البحث

عن الموارد والكسب والتعامل التجاري دون ان نضبط تعامله اسلامياً بتحريم الربا أو أخلاقياً بتجاوز الحدود.

ومن هنا فنحن في أشد الحاجة إلى الدخول في مرحلة تصحيح الوجهة وذلك بإقامة معاملاتنا سواء في مجال التجارة أو الزراعة أو الاقتصاد على أساس تحري الحلال وتجاوز الحرام وكذلك إقامة علاقاتنا الاجتماعية على أساس نفسه.

وفي هذا المنطلق نحن في حاجة إلى تحرير اساليب التسلية والترفيه (سواء منها المسرح أو التلفزيون أو غيرها).

من القصص الماجن والروايات والأفلام والمسلسلات المنحرفة التي تجعل مآثم المجتمعات وكأنها حقائق مشروعة وذلك لحماية شباب الأمة من الوقوع في الخطأ أو الخطر.

ثانياً: إن الأصول الإسلامية لمجتمعنا يجب أن تكون واضحة في حركة الفكر فلا نجد المناهج والأبحاث تقدم وجهة نظر الفكر الليبرالي أو الفكر الماركسي على أوسع نطاق دون أن تقدم وجهة النظر الإسلامية سواء في مجال القانون أو الاقتصاد أو التربية في محاولة لإعلاء التصور الغربي وحجب التصور الإسلامي في محاولة لإعلاء منهج مغلوط هو أن الإسلام لا صلة له بالمجتمعات من حيث توجيهها ورسم مناهج تحركها ومعاملاتها لإفساح المجال أمام القانون الوضعي وإعلاء مفاهيم العلمانية.

وهذا التصور في مجموعه لا يمثل حقيقة مجتمعنا القائم أساساً على الشريعة والذي يطالب بتطبيقها في مختلف المجالات السياسية

الباب الثالث :

الآفاق الجديدة للدعوة الإسلامية

الفصـل الأول : الآفاق الجديدة للدعوة الإسلامية.

الفصل الثانـي : المشروع الحضاري الإسلامي .

الفصل الثـالث : الإسلام وحده هو منقذ البشرية .

الفصل الرابـع : أزمة الفكر الإسلامي .

الفصل الخامس :مخطط احتواء الإسلام .

الفصل السادس : مؤامرة القضاء على الهوية الإسلامية.

الفصل الأول :

الآفاق الجديدة للدعوة الإسلامية

أعتقد أنه أصبح من الضروري في هذه المرحلة الجديدة من حياة الأمة الإسلامية إعادة النظر في موقف الدعوة الإسلامية وتصحيح حركتها ومواجهة العقبات التي تحاول أن تعترض طريقها .

أولاً : لابد من العودة إلى اتخاذ موقف واضح في سبيل استعادة القدس باعتبار أن هذه هي القضية الأولى والأساسية التي يجب أن تحشد لها الجهود وتركز حولها الاهتمامات ، فهي قضية المسلمين جميعاً وليست قضية العرب وحدهم .

والمسلمون مطالبون جميعاً باستعادة الأرض المغتصبة ، فإذا لم يتمكنوا منها في مرحلة من المراحل أو لسبب من الأسباب فيجب أن تظل القضية قائمة ومثارة وموضوعة دائماً في دائرة الضوء .

ولابد أن يوجه لها المسلمون جانباً من مقدراتهم لهذا الغرض التماساً لحق الله تبارك وتعالى في موارد المسلمين مما يوجه لحماية الثغور وحشدها والقدرة على الردع واستعادة الأرض المغتصبة .

ثانياً : التماس الوسائل التي تعيد للمسلمين وحدتهم وتحول دون الوقوع في الخلاف أو الصراع ، وذلك بتقريب المذاهب والارتفاع فوق

المسائل الفرعية والارتقاء في مجال القيم الكبرى الموحدة للمسلمين في دائرة التوحيد والنبوة وتحاشي كل مايتعلق بالخلافات سواء أكانت قومية أو اقتصادية أو مايتعلق بالدم أو الجنس أو العرق وليحذر المسلمون دائماً المداخل التي يستطيع منها النفوذ الوافد الوقيعة بين عناصر المسلمين الذين تجمعهم دائرة الخطر وليعلم المسلمون أنهم على مدى تاريخهم الطويل ماكانوا ليؤتوا إلا من خلال هذه الثغرة.

ويستطيع المسلمون أن يدعموا هذا الجانب ويسدوا هذه الثغرة عن طريق ادخال دراسات عن الوحدة الإسلامية الجامعة إلى مناهج التعليم والتربية من أجل القضاء على الخلافات وتفويت الفرصة على الخصوم وتقريب وجهات النظر.

فقد كانت الدعوات الإقليمية والقومية على مدى السنوات الماضية بتوجيه من النفوذ الوافد عاملاً شديد الخطر على تقسيم المسلمين إلى عرب وفرس وترك وبربر ومن يراجع تاريخ العالم الإسلامي في العصور الحديثة بعد عام ١٥٠٠ ميلادية يستطيع أن يكتشف مدى الخطر الذي حل بالمسلمين نتيجة الصراع بين العرب والترك وبين الترك والفرس وبين العرب والفرس علماً بأن المصدر الحقيقي لهذه العناصر جميعها هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله والقرآن المنزل بالحق ولكن النفوذ الأجنبي كان حريصاً على أن يوجد أكثر من صراع بين أجزاء الأمة الإسلامية سواء أكان صراعاً يتعلق بالعنصر (أكراد- عرب- ترك- فرس) أو بالعقيدة (سنة وشيعة) أو بالمذهب الاجتماعي الوافد (قوميون وماركسيون وليبراليون).

وقد استشرت في فترة ما الأنظمة المستعلية بسلطان الفرد أو

المستعلية بسلطان الفرد أو المستعلية بالسلطان القبلي وكان لها أثرها على اضطراب المجتمعات وظهور أزمات شديدة الخطر مما يتطلب التماس مفهوم الإسلام حول الشورى والعدل الإجتماعي فهو وحده القادر على حماية الأمة الإسلامية من المخاطر والمحاذير التي تحاول تدميرها.

ثالثاً: لقد أعطى الله تبارك وتعالى الأمة الإسلامية ثلاثة مصادر أساسية للثروة: هي الطاقة وثروة الركاز والتفوق البشري وهي بذلك في موضع الامتحان لحماية مقدراتها مما يمكنها من رد العدوان عن أراضيها ولقد آن الأوان لكي تقوم في بلاد المسلمين صناعات كبرى تنفق فيها من فوائض الأموال وذلك حتى يتحقق للمسلمين إقامة فريضة من أكبر فرائض الإسلام أهمية وهي الزكاة.

ولقد دعت بعض الدول الأوروبية المسلمين إلى استقطاع مبالغ تساوي ٢٠ في المائة من مدخراتها للاصلاح الاجتماعي الشامل ولم يكن المسلمون في حاجة إلى توجيهات خارجية فإن الإسلام قد شرع للحكومات تخصيص زكاة الركاز (وهي تساوي ٢٠ في المائة) للارتفاع بمستوى المجتمع الإسلامي.

رابعاً: من أخطر الظواهر التي يجب أن تعالج بواسطة مؤتمر إسلامي عالمي: ظاهرة قيام الحرب بين عناصر الأمة الإسلامية بعد أن كانت الحروب تقوم على مدى التاريخ الإسلامي بين المسلمين وبين اعدائهم وخصوم دينهم.

ويتطلب هذا الأمر دراسة العوامل التي فرضتها المفاهيم الوافدة حول الخلافات الفكرية والعقائدية ومدى تباين وجهات النظر بين النظرتين القومية الغربية وبين مفهوم العروبة الإسلامية.

خامساً : مازال المجتمع الإسلامي يتطلب من الحماية مايحول بينه وبين استغراقه في وسائل التدمير الخلقي والاجتماعي بتفشي الخمور والمخدرات والسهرات الصاخبة والتصرفات الفاجرة التي تزخر بها بعض الفنادق والبيوت.

ولعل عبرة التدمير التي وقعت في بعض الأماكن من شأنها أن تنبه المسلمين إلى هذا الخطر.

سادساً: النهضة العسكرية القائمة على التدريب والنضال وحمل السلاح يجب أن تستمر بصورة أكثر اتفاقاً مع أوضاع السلام دون أن يوقف نهائياً فالشباب العربي والمسلم في حاجة إلى أن يكون على تعبئة دائمة ومدربا تماماً على الظروف الحرجة والمفاجئة وأن لا يركن أبداً إلى التراخي والاستسلام والأمن الخادع الذي كان يعيشه شبابنا في بعض البلاد الإسلامية في المرحلة السابقة وليعلم أن عليه مسؤوليات جساما ولا تزال أمامه قضايا معلقة في حاجة إلى تربية قدرته القتالية.

●●●

ولا ريب أن الآمال التي كانت منعقدة على الدعوة الإسلامية قبل حرب الخليج قد ازدادت وتضاعفت وتأكد أن الوجهة الإسلامية هي الملاذ الأكبر للأمة الإسلامية لإخراجها من جميع أزمات اضطراب الشورى والعدل الإجتماعي وماتزال هناك ثغرات لا يستطيع سدها إلا الإسلام.

فالإسلام هو مفتاح الوحدة الإسلامية الجامعة المرتجاة والتي هي وحدها المخرج الحقيقي للعرب من أزمة الصراع بين الأقليات

والقوميات وليس هناك إلا منطلق واحد وهو أن يكون النظام الإسلامي هو السبيل الوحيد، للعمل وذلك بعد أن انهارت المذاهب العلمانية والشيوعية ولم يعد للمسلمين والعرب من منطلق حقيقي إلا من خلال مفاهيمهم وقيمهم وعقيدتهم وتراثهم.

واليوم تتطلع قوى المثقفين والمفكرين الغربيين إلى الإسلام كمنقذ للحضارة الإنسانية وتنتظر من المسلمين والعرب أن يطبقوا منهج الإسلام حتى يستطيع العالم أن يرى سلامة التجربة التي أعطت العالم ألف سنة كاملة خير عطاء في مختلف مجالات النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولقد تبين أنه لم يعد في الامكان أن يظل المسلمون والعرب سائرون في دائرة التبعية وأنهم يجب ان ينطلقوا إلى عصر الرشد الفكري الذي يمكنهم من حق التصرف في مقدراتهم وبناء نواة عربية إسلامية أساسية للاقتصاد العربي الإسلامي وحماية مواردهم من أن تستهلك بمفهوم غير إسلامي حماية لنعم الله تبارك وتعالى من أن تكون وقوداً للترف والاستعلاء وزخرف الحياة الدنيا.

●●●

إن كل الأحداث التي مرت وتمر بنا في السنوات الأخيرة من حروب (إيران والعراق- لبنان - حرب الخليج) لابد ان تدفعنا إلى التعرف على منهجنا وموقف الإسلام الأصيل فهو وحده القادر على إخراجنا من تلك الأزمات المتلاحقة وإقامتنا في مكانتنا الحق.

إن أهم مايجب ان نتوجه إليه اليوم هو إقامة المشروع الحضاري

الإسلامي بعد أن فشلت الأفكار والخطط والتنظيات التي حاولنا أن نقتبسها من الفكر االأممي سواء في مجال حكم الفرد أو احتكار السلطة أو تقيد الدكتاتوريات والأنظمة الشمولية .

إننا في حاجة ماسة إلى التماس (تكامل العروبة والإسلام) والانفتاح بينهما ونسيان صفحات المآسي والمرارة التي امتدت على مدى التاريخ بين أمة لا إله إلا الله تحت وسوسات الغرب الحريص على تمزيقنا عرباً وفرساً وتركا، أو سنة وشيعة أو ليبراليين وماركسيين وقوميين، وعلينا الانطلاق من حدود الوطن العربي إلى ساحة الأمة الإسلامية فهي المنطلق الحقيقي لبناء الحضارة الجديدة المستمدة من القرآن الكريم وشريعة محمد بن عبدالله رسول الله الخاتم وخاتم رسالات السماء والدعوة العالمية الخالدة .

لابد من ثلاث :

١- التنمية العربية الإسلامية المستقلة .

٢- الطابع العربي الإسلامي المميز .

٣- بناء القدرة العسكرية العربية الإسلامية القاصرة على الردع ودفع العدوان وإعداد الشباب المسلم لمهمة الرباط في سبيل الله ولا ننسى أولاً وأخيراً حق بيت المقدس علينا في تخليصه من الغاصبين وإزاحة خطر اسرائيل الجاثم على قلب الأمة الإسلامية .

الفصل الثاني :

المشروع الحضاري الإسلامي

لم يعد هناك مفر من أن يتقدم كتاب ومفكرو الأمة الإسلامية بتصوراتهم للمشروع الحضاري الإسلامي الذي أصبح ضرورة ملحة بعد أن مر المسلمون والعرب خلال السنوات الأخيرة بهذه التحديات الخطيرة التي واجهتهم والأخطار التي حاصرتهم مما يتطلب وضع تصور أصيل مستمد من مفهوم الإسلام الجامع ليكون نبراساً للخطوات المتصلة على طريق الأصالة والعودة إلى المنابع وإقامة معاصرة في دائرة الأصالة يكون فيها (البناء على الأساس) وليكون هذا المشروع الحضاري الإسلامي بديلاً للمشروع الحضاري الوافد الذي حاول السيطرة على مقدرات المسلمين والعرب خلال قرن ونصف قرن من الزمان بعد أن ثبت عجزه عن العطاء وفشله في تحقيق الأمن النفسي والمجتمع الرباني .

ولقد أقام الإسلام منهجه الأصيل على أساس وحدة الفكر الجامع التي توسع دائرة الالتقاء والتعارف وتضيق دائرة الخلافات حتى تصل الإنسانية إلى عصر التراحم والوفاء من خلال المنهج الرباني الذي رسمه الحق تبارك وتعالى بديلاً للمنهج البشري القائم على الصراع والقتال وإثارة الأحقاد والخصومات والمطامع على النحو الذي

نراه اليوم.

والذي يتطلع دعاته إلى شق القوى المجتمعة وتدمير الروابط والتي تستهدف أساسا تحويل الكيان الإسلامي الكبير إلى كيانات وكانتونات متصارعة وذلك بإيقاظ الخلافات المذهبية والتفرقة العرقية.

والواقع أنه لا سبيل لأي مشروع حضاري علماني أو قومي أو بشري أن يمكن لقيام الأمة القادرة على حمل رسالة الحق تبارك وتعالى للعالمين، إلا إذا استمد مفاهيمه من الأصل الأصيل الخالد: النص الموثق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي جمع مختلف القيم الربانية العليا التي وهبها للبشرية (القرآن الكريم) والسنة الشريفة.

ومن هنا فلا بد أن يكون المنطلق الحقيقي من القرآن والسنة على النحو الذي بدأت به النهضة الأولى إيماناً بأن القرآن كتاب البشرية الخالد الصالح لكل زمان ومكان والذي هو الينبوع الذي تنطلق منه المناهج والخبرات التي تمكن المسلمين خاصة (والبشرية عامة) من جني الثمار من خلال مخاطبة العقل والقلب والوجدان.

ومن هذا المنطلق يمكن تأصيل كل المنظمات القائمة وردها إلى منابعها: منظمة الانتماء، ومنظمة المجتمع، ومنظمة التعامل الخارجي مع الغير وتكامل المجتمع الداخلي وتصحيح مسار الاقتصاد ورفض النظام الربوي ووضع المرأة في مكانها الطبيعي عماداً للأسرة والمجتمع وبناء التعليم على أسس التربية الإسلامية وتوجيه أدوات الترفية والتسلية نحو الوجهة السليمة التي تحقق هدف الترويح دون الدخول

في دائرة الانحراف والتبذل وحماية الوجود الاجتماعي كله من الانحراف الأخلاقي ومن الفساد والفحشاء والإثم كله.

ولما كان الإسلام يمتلك قوة رائعة لا يمتلكها إلى منهج بشري أو أيدلوجية أخرى ؛ تلك هي الوسطية: وسطية التوازن والتكامل والمواءمة بين القيم بحيث لا يوجد من خلال ذلك أي صراع طبقي أو حصون بين الأجيال أو تضارب بين الآباء والأبناء.

هذا التكامل الجامع في الإسلام إنما يمثل ظاهرة حية نابضة بالقوة تمثل تكامل الفكر والوجدان، وتكامل العقل والروح، وتكامل الأصالة والمعاصرة، تكامل النظرية والتطبيق، تكامل الثوابت والمتغيرات هذا التكامل يفرض مسؤولية خطيرة على الفكر الإسلامي وهي أن تقف موقف المراجعة الواسعة للفكر المادي الغربي والفكر الروحي الشرقي باعتبار أم كل منهما يمثل (انشطارية) لا تحقق سلامة النظرة حيث تقف النظريات موقف التجزئة بينما يتميز الإسلام والإسلام وحده على جميع النظريات والأيدلوجيات والمذاهب في الشرق والغرب وفي القديم والجديد بكمالية النظرة والتوجه.

ويجب أن يكون واضحاً أمام الأمة الإسلامية أن التجربة الغربية بشطريها قد انتهت إلى الفشل وأن المسلمين لا يأخذون نظم الآخرين ولكنهم يستفيدون من الأنظمة والوسائل فيصهرونها في بوتقة فكرهم ويحولونها إلى مواد خام ينتفعون بها دون ان تحاصرهم أو ينصهروا فيها.

إن المشروع الحضاري الإسلامي يقوم على أساس الوحدة الثقافية بين كل العناصر التي تستظل بلواء الأمة الإسلامية انطلاقاً من

رسالات السماء التي جاء الإسلام خاتماً لها فأسس ثقافته وقيمه ومعالمه التي هي بالنسبة للمسلمين دين وعقيدة وبالنسبة لغير المسلمين ثقافة وفكر لأنها تقوم على أساس التوحيد والإخاء الإنساني والالتزام الاخلاقي والمسؤولية الفردية.

ذلك أن رسالة الإسلام منذ جاءت فقد صهرت كل قيم الأديان واخلاقياتها في منظور جامع واحد قوامه اللغة العربية وقد جمع القرآن الكريم أصول رسالات السماء كلها من صحف ابراهيم وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى.

والواقع أن عوامل الوحدة موجودة وقائمة وتمثل الثقافة الإسلامية الآن ثقافة المنطقة العربية والإسلامية كلها، وقد جاء الإسلام لإقامة وحدة جامعة، قوامها تكريم العناصر غير الإسلامية واعطائها حريتها الدينية واشراكها في مجريات النهضة والحضارة والعلم كما حدث في العصور الأولى، والعمل على رفض ومقاومة مؤتمرات الغزو الفكري التي تهدف إلى إثارة الفتن والوقيعة والصراع بين عناصر المجتمع المتكامل وقد كانت الشريعة الإسلامية عنصراً حامياً ومؤكداً لحقوق العناصر المختلفة التي صهرها المجتمع الكبير في بوتقته.

●●●

إن النظام الإسلامي هو المنطلق الحقيقي لبناء المشروع الحضاري الإسلامي بقاعدته العريضة من خلال فروعه الثلاث:

١ - الشورى. ٢- العدل الإجتماعي. ٣- الحدود والضوابط.

وهذه القيم الأساسية هي وحدها التي تمكن المجتمع الإسلامي

من التماثل المفضي إلى الوحدة الإسلامية الجامعة حيث تتسع دائرة التشابه وتمتد بمفهوم (التعارف) الإسلامي بحيث تلتقي كل العناصر والأقطار والقوميات والنحل حيث يصور الوطن الإسلامي وحدة كاملة في مجال الاقتصاد والثروة والقوى العاملة والأرض الزراعية ومعطيات الركاز مما تكشف عنه الأرض كالبترول والمنجنيز والكوبلت.

وليس هناك طريق آخر لبناء المشروع الحضاري الإسلامي غير إقامة هذا التصور السياسي والاقتصادي على أساس منهج الإسلام نفسه وليس على واقع المجتمعات القائم الأول والذي تشكل خلال السنوات الأخيرة من خيوط وافدة مغايرة لمعدنه الأصيل ومنهجه الصحيح حيث توضع قضية الديمقراطية بديلاً عن تطبيق الشريعة أو اعتمادها- أي الديمقراطية- مرتكزاً أساسياً للمشروع الحضاري الإسلامي، ذلك ان الديمقراطية الغربية لم تستطع أن تحقق الشورى في مجتمعها الذي جاءت منه فبالأولى أنها لا تستطيع أن تكون قاعدة نظام يعتمد على المنهج الرباني ونحن نعرف الديمقراطية منذ جاءت من الغرب وكيف عجزت عن تحقيق أي عدل اجتماعي أو شوري حقيقية، وأن ما نحتاجه منها وهو (الحرية) موجودة لدينا في النظام الإسلامي على نحو يعرف (بالحرية المنضبطة) وهي لن تكون إلا مدخلاً لتحقيق التصور الإسلامي أما مايقال من أن تطبيق الشريعة (يتم في نهاية المطاف إذا قدر له) فذلك هو ماينطلق من أهواء الذين يرمون إلى قيام مشروع حضاري إسلامي مغلوط ترضى عنه القوى الغربية ذات السلطان والتي ترغب في تفريغ الإسلام من مضمونه الحقيقي وتقص

أجنحة الصحوة الإسلامية بالتمويه لتحجب مفهومات أساسية ترغب في حجبها: كالخلافة والشريعة الإسلامية والحكم وتحريم الربا ثم تضع كلمات أخرى زئبقية بحيث لا يبقى بعد ذلك من الفكرة الإسلامية الأصيلة إلا تثبيت العلمانية الموجودة الآن والقائمة فعلاً بغلاف براق والحقيقة أنه لا عدل اجتماعي ولا حرية حقيقية (حرية منضبطة) ولا شوري ملزمة إلا من خلال المنهج الإسلامي.

والحقيقةأان المسلمين عربا وفرسا وتركا وهنودا مسلمون تجمعهم مظلة لا إله إل الله يليقون على مساحة واسعة من التكامل النفسي والاجتماعي ولا يحتلفون إلا في مساحة قليلة من عوامل البيئة أو ظروف العصر فالربانية هي القاعدة الأساسية لقيام المشروع الحضاري الإسلامي التي تجعل الوجهة خالصة لله تبارك وتعالى في دائرة ما أحله وتبعد عن دائرة ماحرم.

●●●

فإذا أردنا أن نتصور المنظومة الإسلامية وجدناها تتمثل في الوسطية الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والمنهج والتطبيق والوحي والنقل، لقيم الشورى منطلقاً للحكم ولقيم الزكاة منطلقاً لحماية المجتمع وترسم الاقتصاد وفق حماية الأمة تأخذ من غنيها لتعطي فقيرها، وتقيم حياتها كلها على أساس الأخلاق التي هي وعاء المجتمع والحضارة والفرد أيضاً.

والتي تبني الفرد المسلم على أساس المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي وتجعله منطلقاً لبناء الأسرة المسلمة فالجماعة المسلمة فالحكومة المسلمة وتحقق رعاية كاملة لكل عناصر المجتمع لا تغفل

الحدود والثغور وتنهض بمفهوم الجهاد الإسلامي (واعدوا) لهم ما استطعتم من قوة ترهبون بها عدو الله وعدوكم وهي ما يسمى في العصر الحديث (القدرة على الردع) وحماية أسرار الأمة وكياتها (لا تتخذوا بطانة من ذويكم) ويجب أن يكون واضحاً أن الشورى الإسلامية ليست هي الديمقراطية وأن العدل الاجتماعي ليس هو الاشتراكية كما يحاول البعض التمويه على الشباب المسلم ولنكن واعين تماماً إلى حقيقة أساسية وهي أن الفكر الليبرالي الغربي قد اثبت منذ سنوات عديدة ومنذ عرفته البلاد العربية والإسلامية عجزه تماماً عن العطاء حتى في دائرة بلاده حيث يطالب الناس بنظام اقتصادي جديد، كذلك كان الأمر بالنسبة للنظام الماركسي الاشتراكي.

وقد أكدت الأحداث هذه الحقائق حين استعلن في السنوات الأخيرة فشل الفكر الماركسي في بلاده بعد سبعين سنة من التطبيق حيث انهارت القواعد الماركسية اللّينية وسقطت تماثيل ماركس ولينين وستالين في مختلف عواصم الغرب.

وكذلك كشفت الأحداث الأخيرة عن عجز الفكر الوافد كله سواء القومي أو الاشتراكي عن العطاء وانهارت هذه الدعوات.

وإذا كان الفكر اليساري قد عجز عن العطاء فمن باب أولى أن يعجز التيار اليساري المسمى بالإسلامي والتيار الإسلامي القائم على مفهوم الاستعلاء بالمفاهيم العقلانية المتخذة من المعتزلة والتي لا تقدم الإسلام مفهوماً جامعاً متكاملاً بين الوحي والعقل.

أما الحملة على الخلافة فهي لا تحجب دعوة الوحدة الإسلامية الجامعة التي يمكن أن تتشكل في أي صورة من صور العصر وقد قدمها

بعض فقهاء القانون وغيرهم في صورة كومنولث إسلامي أو جامعة إسلامية فإذا أضفنا إلى هذا التعددية الحزبية والشورى الملزمة والعلاقات السمحة مع غير المسلمين وترابط العروبة والإسلام تشكلت أمامنا صورة واضحة لملامح وخيوط المشروع الحضاري الإسلامي الذي يتطلب العمل من الآن على: الأسس التالية.

أولاً : أسلمة المناهج والعلوم والمعرفة وتقديم البدائل الأصيلة مكان المفاهيم الوافدة في مختلف المجالات.

ثانياً : بناء قاعدة صلبة للتربية الإسلامية الخالصة التي تحتفظ بعناصر الأمة وقدرتها على الإيمان بحق الله تبارك وتعالى على المسلم في دائرة الاستخلاف والعمران والسعي والتحرر من الضعف والرخاوة والترف الوهمي وكلها من علامة الهزيمة التي تبثها أدوات الترفيه.

ولابد أن تخرج الأمة الإسلامية من طابع الضعف وتدخل مرحلة الصمود والعزيمة وذلك حتى تستطيع أن تحقق وجودها الحقيقي وتقيم مجتمعها الأصيل الذي يحمل طابع ذاتيتها الخاصة المتحرر من التبعية وذلك حتى تستطيع أن تقدم الإسلام للبشرية كلها لتحررها من عوامل القلق الهائل الذي أصاب النفوس والأرواح نتيجة عبادة المادة وتزلزل قيم الأخلاق وهذا إجمال له تفصيل.

الفصل الثالث :

الإسلام وحده هو منقذ البشرية

جاء الإسلام خاتماً لرسالات السماء من أجل تحرير البشرية من العوامل التي دمرت الحضارات والأمم السابقة، وردها إلى التوحيد الخالص وإلى عبوديتها لله تبارك وتعالى (خالقا ورازقا) وتحطيم أوثانها وأصنامها من عبادة المال أو الطاغوت وتدمير المقولات المبطلة المضللة التي تناقلتها الحضارات الوثنية والمادية من يونانية ورومانية وفارسية وفرعونية والكشف عن زيف هذه النظريات والرؤى التي ورثتها من أجل الخروج على منهج الله تبارك وتعالى، وكيف سقطت هذه الحضارات ودمرت لانحرافها عن منهج الله.

ولعل من أبرز معطيات الإسلام في العصر الحديث هو : سقوط النظرية الإلحادية وبروز الإسلام عقيدة وحضارة كمنقذ للبشرية مما وقعت فيه من أزمات ماتزال تحيط بها من جميع أقطارها وتدمر وجودها وتذيقها من ويلات الحياة ما يحول بينها وبين الأمن النفسي والسلام الاجتماعي الذي لا يتحقق إلا بالعودة إلى منهج الله تبارك وتعالى.

ولقد إنهارت أخيراً النظرية الماركسية الشيوعية بعد سبعين عاماً من التوسع والانتشار والادعاء الباطل بقدرتها على أن تحل محل الدين

الرباني في إصلاح البشرية وإسعاد الإنسانية وقد حملت حملة واسعة على الدين الحق وأنكرت وجود الإله الواحد الحق، وحاولت أن تضع منهجاً لتطبيقه في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية قائماً على الاستبداد والسيطرة وإبادة الخصوم وتدمير القيم وفرض المفاهيم بالقوة في معارضة شاملة للفطرة والعلم وواقع التاريخ وسنن الحياة وقوانينها التي رسمها الحق تبارك وتعالى.

وقد استطاعت أن تعري الكثيرين وتخدع بعض المتصدرين في أوطانهم ثم تكشفت في الأخير عن أنها ليست إلا ضلالة كبيرة سرعان ما انهدمت وانهارت.

لقد استطاع الإسلام أن يقدم خلال المرحلة الأخيرة ضوءاً كاشفاً عم البلاد غير الإسلامية واتصل بالعقليات الفلسفية والعلمية العريقة في العلمانية والإلحاد، فكشف لهم عن مدى الاضطراب والفساد والحيرة الذي تعانيه البشرية نتيجة بعدها عن منهج الله تبارك وتعالى ومن اسرافها في الاندفاع نحو الشهوات والأهواء والمطامع خاصة بعد أن علت صيحة الاباحية بعد أن استشرت مفاهيم فرويد ودوركايم وسارتر وذهب عشرات من المغرر بهم ضحايا هذا الخطر الماحق الذي ارتبط كثيراً في العقود الأخيرة بالمذهب الماسوني ورسمت خططه بروتوكولات صهيون في التغرير بالجويم (غير اليهود) وتدمير مجتمعاتهم.

لقد عجز سارتر ودوركايم وفرويد أن يخدعوا البشرية بتقديم دين يحل محل الدين الحق.

كما استطاع الإسلام أن يقدم للمسلمين مفهومه الأصيل من

جديد بعد أن سقط المسلمون في هوة (التخلف) نتيجة الخطر الذي
حدث كما استطاع الإسلام أن يقدم للمسلمين مفهومه الأصيل من
جديد بعد أن سقط المسلمون في هوة (التخلف) نتيجة الخطر الذي
حدث في بلادهم بعد أن سيطر عليها الاستعمار والنفوذ الأجنبي وحجب منهجهم الرباني في المدرسة والمحكمة والمصرف حين فرض مفاهيمه في الليبرالية والربا والعلمانية واستباحة الزنا والفساد وحطم الحدود التي أقامها الإسلام لحماية المجتمعات.

ومن خلال منهج التعليم الوافد ومن خلال برامج الإعلام والبث التلفزيوني وأدوات الترفية أمكن أن تسرب مفاهيم كثيرة خاطئة خاصة في حوار المسلسلات الذي بعد بعداً شديداً عن قيم الإسلام وأخلاقياته وآدابه وروحه المتعالية على الخطيئة والإثم والفاحشة.

لقد أوغل العلمانيون والتعريبيون ومن ورائهم قوى كبرى من أجل فرض مفهوم مضطرب للإسلام يختلف عن جوهره الأصيل.

ولكن استطاعت القوى الإسلامية المتجددة أن تعلن الإسلام [منهج حياة ونظام مجتمع] من جديد بعد أن ظن أصحاب النفوذ الغربي أنهم سيسوا الإسلام وقادوه إلى مفهومهم الخاطيء.

فاستعلنت الشريعة في عدد من دساتير البلاد العربية وأمكن تقنينها في نظم حديثة وعرفت الدنيا كلها أن الإسلام نظام حكم كذلك فقد كشف الإسلام عن فساد نظام الربا وأسلوب الفائدة وظهر المصرف الإسلامي فقضى على السيطرة الربوية العالمية الطاغية على المال والاقتصاد.

أما المرأة المسلمة فقد اكتشفت مؤامرة تحريرها فعادت إلى الله تبارك وتعالى وعرفت الحجاب الإسلامي وعرفت مهمتها في تربية الأجيال ورعاية الأبناء وبناء السكن للزوج والأسرة وعرفت أن العمل يحل لها إذا كانت في حاجة إليه وفي حدود الشرع بعيداً عن الاختلاط والاضطراب وتبخر المفهوم المدمر الذي حاول الغرب فرضه على مجتمع المسلمين.

وفي مجال الفكر والثقافة كشف الإسلام عن زيف نظرية دارون التي حاول الفكر الغربي تقديمها لهدم مفهوم التوحيد الإسلامي وتعين من خلال الحفريات: أن الإنسان وجد منذ اليوم الأول تاماً ومستقلاً عن الأجناس وله قامة قائمة ولم يكن في يوم من الأيام من سلالة القرد أو غيره وتكشفت هذه الحقيقة حتى بالنسبة لأهل الغرب أنفسهم الذين طالبوا بمنع نظرية دارون من دراسات التلاميذ.

كذلك فقد تكشف فساد نظرية الجنس التي قال بها فرويد والتي لم تكن صادرة عن علم صحيح بل عن هوى رجل يهودي يؤمن بالتلمود والماسونية المنطلقة لتدمير الإنسان من الجويم (غير اليهود).

وكانت هذه النظرية بالإضافة إلى مفاهيم أخرى من الفلسفة المادية عاملة على هدم القيم الأخلاقية الثابتة في المجتمعات ومحاولة الادعاء بارتباط الأخلاق بالمجتمعات والعصور وتحولها، فقد ثبت فساد ذلك على الأقل في أفق الفكر الإسلامي الذي كانت الأخلاق فيه قيمة أساسية من الثوابت كالعقيدة تماماً.

ولقد كانت تجربة الأمة الإسلامية مع المذاهب الغربية حدثاً فريداً إذ كشف فساد هذه المذاهب وعجزها عن العطاء في أمة أعطيت منهجاً

ربانياً فريداً قادراً على العطاء في مختلف الأزمنة والبيئات. ومن هنا فقد كشف المسلمون فساد الأيدلوجيات الغربية من العلمانية إلى الليبرالية الشيوعية جمعاء ولقد استطاع الإسلام في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر والعقد الأول من القرن الخامس عشر تقرير ذلك كله في إطار ما اطلق عليه (الصحوة الإسلامية) ودخل المسلمون أوروبا (اسبانيا وفرنسا وانجلترا) سلماً بعد أن طرد منها المسلمون حين طردوا من الأندلس وبدأت كلمة الله تبارك وتعالى في القارات الخمس جميعاً.

ولكن لاتزال للإسلام قضايا أساسية لم يفصل فيها قد أشار إليها القرآن الكريم منها قضية التوحيد الخالص في مواجهة التعدد والتثليث ومنها قضية الأساطير التي تروجها يهود من أجل دعوى حق قديم مدعى في أرض فلسطين حسبما يحاول مؤرخوها وكتابها إشاعة هذه الدعاوي والعمل على تزويدها وخداع بعض العناصر بقبولها والاذاعة بها.

وماتزال هناك دعاوي مبطلة كثيرة يتكشف كل يوم زيفها سواء عن طريق الحفريات الأثرية أو عن طريق حقائق العلم ومايزال اصحابها المبطلون متشبثون بها في عناد لا يقبلون الحق ولا يطيقونه.

إن القرآن الكريم قد وضع الفكر البشري الوثني كله (اليوناني والفارسي والباطني) جميعاً موضع الشك وكشف زيفه وفساد مقولاته فتحطمت مقوماته مهما عمل البعض على إحيائه وخلطه بالفكر الإسلامي فقد ظل هذا الفكر قاصراً وعاجزاً، حتى جاءت الفلسفة المادية الحديثة لتتساقط مقولاتها الاجتماعية والاقتصادية جميعاً.

وقد أحس الناس بعد تهاوى تلك المقولات بعجزها عن العطاء

فذهبوا ليبحثوا عن نوافذ أخرى تنقذهم وتعيد إليهم السكينة والأمن وقد قدم القرآن عشرات الحقائق الدامغة التي مهما أنكرها المنكرون فإن مناهج العلم قد أكدتها وصدقتها وشهدت لها سواء في خلق الإنسان أو تكوينه البيولوجي والاجتماعي.

وقد قدم القرآن الكريم حقائق في خلق الإنسان لم تستطع أي حفريات أن تكذبها، بل لقد كذبت الحفريات المقولات المضللة التي ادعتها الوثنية والدارونية.

وصدق الدكتور بوكاي حين قال إن القرآن الكريم قدم حقائق علمية قبل ألف وأربعمائة سنة لم يكن أحد يعرفها وقت نزول القرآن مما يؤكد أنها جاءت من مصدر أكبر من الإنسان هو الله تبارك وتعالى.

وكان المنهج العلمي التجريبي الذي شكل الحضارة القائمة الآن ثمرة من ثمار القرآن ودعوته إلى النظر والاعتبار وتقديم الدليل والبرهان كما قدم تصوراً ميتافيزيقياً للكون كان من شأنه تحطيم كل الأساطير القديمة التي لاكتها البشرية ورددتها مئات السنين كذلك فإن التصور الإسلامي القرآني للإنسان وخلقه ومسؤوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وجزاءه الأخروي وقيام هذا التصور على قاعدتين هما الغيب والواقع أساساً لمفهوم (الثوابت) تكشف فساد العلوم الإنسانية والإجتماعية الحديثة القائمة على العنصر المادي وحده دون عالم الغيب (الذين يؤمنون بالغيب) وماتزال البشرية في اضطراب وانحراف طالما تنكر عالم الغيب مكملاً لعالم الشهادة وطالما تنكر الالوهية والنبوة والوحي والبعث والجزاء.

●●●

لقد استطاع الإسلام خلال أربعة عشر قرناً أن يقدم للبشرية مجموعة ضخمة من الحقائق التي يمكن أن يتحول بها إلى مجتمع رباني أصيل من خلال بناء الإنسان مع أساس جديد مختلف عن مفاهيم الفكر البشري يكون فيه الإنسان ربانياً ينتقل من الفردية إلى الاجتماعية ومن الأنانية إلى الغيرية ومن الصراع إلى التعاون كذلك فقد أقام لكل قضايا المجتمع الأساسية والتي ماتزال مصدر اضطراب عالم وسائل العلاج في أربع مقررات أساسية :

أولاً : حماية الأمة والفقير واليتيم والضعيف من العوز فإنه جعل لهم حقاً في المال العام وحال بنهم وبين سيطرة أصحاب رؤوس الأموال ﴿**في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾ سورة المعارج آيات ٢٤ , ٢٥ .

ثانياً : حماية المجتمع من الفساد والانحلال والفاحشة .

﴿**والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً**﴾ سورة النساء آية ٢٧ . وهو ماينفرد به الإسلام من بناء المجتمع على قاعدة الأخلاق والقيم والحدود والضوابط .

ثالثاً : حماية الرقيق وتحريره بالمكاتبة وغيرها من الوسائل .

رابعاً : حماية المرأة من اضطهاد الرجل لها وإقرار حقها في بيتها ومالها وتقدير دورها الكامن في بناءأاسرتها وحماية أولادها وحذيرها من المغريات التي تخرجها عن مسؤوليتها الأساسية وإذ تتهاوى الايدلوجيات والمناهج البشرية الوافدة واحدة بعد الأخرى فهي تفسح الطريق إلى منهج الإسلام الذي تتطلع البشرية إليه اليوم كمنقذ لها من



الفصل الرابع :

أزمة الفكر الإسلامي

ماتزال قضية (أزمة الفكر) في العالم الإسلامي والبلاد العربية تعالج من قبل الباحثين والمستشرقين على أنحاء مختلفة في محاولة لوضع تصور حقيقي لها بينما يخضع كل جانب من الباحثين لمفهوم يختلف انطلاقاً من تبعيته الفكرية الأساسية سواء أكانت هذه التبعية إلى العلمانية أو الماركسية أو القومية، بينما لم تزل وجهة النظر الحقيقية والأساسية والمستمدة من المفهوم الإسلامي الأصيل في حاجة إلى أن توضع تحت دائرة الضوء.

فالفكر الذي هو موضع البحث ليس في الحقيقة (بيئياً) : مصرياً أو شامياً أو مغربياً، كما أنه ليس عربياً أو تركياً أو فارسياً، وإنما هو الفكر الإسلامي الذي تشكل منذ أربعة عشر قرناً من خلال عقيدة الإسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم والسنة النبوية فهو الفكر الإسلامي صاحب الأرضية الأساسية في الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها والذي يتعرض عن طريق الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي إلى الاحتواء والسيطرة في محاولة خطيرة لتدمير مقوماته القائمة على التوحيد الخالص والإيمان بالألوهية والنبوة والغيب والجزاء الأخروي والمسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي في محاولة لتغيير

(اصولية) الإسلام واخضاع الفكر الإسلامي المستمد من المنهج الرباني للولاء للفكر البشري الذي كان على مدى العصور معرضاً للحذف والإضافة لعجزه عن العطاء الحقيقي الممتد مع مختلف الأزمان والبيئات.

وتأتي الأزمة نتيجة هذه (التداخلات الوافدة التي تحاول تغيير مسار الفكر الإسلامي أو احتوائه عن طريق المناهج الغربية المفروضة على مناهج التعليم والتربية والثقافة وأدوات الإعلام والتي تحاول أن تقدم للمسلمين قيماً وعادات ومفاهيم تختلف تماماً عن مفاهيم الإسلام فضلاً عن سيطرة النفوذ الغربي القائمة والمستمرة- بالرغم من انتهاء الاحتلال الأجنبي- على المدرسة والمصرف والمحكمة من خلال مناهج التعليم والقانون الوضعي والمصرف الربوي.

ومن هنا نجد ذلك التداخل والازدواجية الواضحة في الحياة الاجتماعية في البلاد العربية والإسلامية على نحو يوهن من قيم الإسلام ويدفع المجتمعات إلى (تغريب واضح) في المعاملات والقيم والأخلاق.

أما الادعاء بأن الفكر الإسلامي في حاجة إلى تجديد أو تطور أو تحرر فإن للإسلام قانون واضح وقائم لمواجهة متغيرات البيئات والعصور يقوم على أساس قاعدة (الثوابت والمتغيرات) فلا يقبل الإسلام مفهوم التطور المطلق ولا مفهوم خضوع الأخلاق والقيم للعصور والبيئات فإن قيم الأخلاق مازالت ثابتة ثبات العقيدة نفسها.

ولكن الذي يتغير هو: العادات والتقاليد في مجال الأخلاق،

والأساليب والوسائل في حركة المجتمع نفسه دون أن يؤثر ذلك على الضوابط والحدود التي رسمها الإسلام من خلال تشريعه الحكيم الذي طبق مدى ألف عام من حدود الصين إلى حدود فرنسا وسعدت به البشرية وأنار طريقها وقدم لها خلال ذلك : المنهج التجريبي الذي تقوم عليه الحضارة والعلم الحديث .

إن أزمة الفكر الإسلامي (لا العربي) مرتبطة بالإسلام أساساً، وهي تواجه المسلمين والعرب جميعاً من خلال العقيدة حيث توجد محاولة مستميتة لتطويق هذه الأمة- الأمة الإسلامية- وحصارها إخضاعها حتى لا تتمكن من امتلاك إرادتها أو اختيار طريقها الصحيح .

وإن استسلام المسلمين وخضوعهم للتصور المادي المحصن الذي يدور حول المكاسب والتنافس على الموارد دون تقدير الجوانب الأخرى المعنوية والروحية- ودون التزام بالحلال والحرام سيظل حائلاً دون قدرة المسلمين على مقاومة الخطر، ذلك أن للمسلم قضية أكبر من قضية التقاتل حول المادة والمال والغنى والثروة التي تبهر النظر ولكنها تحول دون خطر يواجه بيضة الإسلام وأن لا تعيقنا المطامع الدنيوية الزائلة عن التصدي لهذا الخطر .

●●●

إن أزمة الفكر الإسلامي تتركز في عدة عناصر تقتضي كل منها بحثاً مستقلاً أهمها :

١- ازدواجية التعليم .

٢- عدم إقرار قاعدة الإسلام دين ودولة.

٣- التعاون في اقرار أخلاقية المجتمع والحضارة.

٤- عدم الإيمان بتكامل الوحي والعقل.

٥- التقصير في بناء قاعدة القدرة على الردع وإقامة فريضة الجهاد.

إن هناك مسارب كثيرة في نظامنا الاجتماعي استطاع النفوذ الأجنبي من خلالها احداث هذه الأزمة التي تحول بيننا وبين الصيرورة إلى وحدة جامعة.

ويرجع الاضطراب في تقدير المشكلة إلى أن المسلمين يصدرون عن ثقافات وافدة منوعة تجعلهم مختلفي الوجهة وقد حاولت المناهج التعليمية أن تنتزعهم من مفهوم (تكامل الإسلام) والخضوع لمفهوم العلمانية فأصبح من العسير إعادتهم إلى الحق.

وقد عمد النفوذ الأجنبي عن طريق الاستشراق والتبشير والتغريب إلى مواصلة جهوده لبث سمومه عن طريق دعوات ثلاث هي:

(القومية والماركسية والعلمانية)

فأحدث بذلك شرخاً في الشخصية الإسلامية التي تؤمن بالنظرة الجامعة وبالمفهوم المتكامل (روحاً ومادة وعقلاً وقلباً ودنيا وآخرة) وبالنسبة للتعليم فقد تمزق أمام تعليم ديني وتعليم مدني وحمل التعليم المدني مفاهيم تختلف مع مفهوم الدين الحق وفي مقدمتها نظرية الخلف (كما جاء بها دارون) ونظرية (الطبيعة) التي قدمت بديلاً من (قدرة الله)

تبارك وتعالى فضلاً عن مفاهيم (الجنس) التي قال بها فرويد حينما عده منطلق الحياة عند الإنسان فضلاً عما حملت الماركسية والوجودية والانتربولوجيا وغيرها من مفاهيم مادية مضللة تعارض الأديان وحقائق الحياة وتحاول أن تشكل المسلم في دائرة انكار الخالق (جل وعلا) والنزوع إلى الحرية الشخصية التي تنكر قيم الأخلاق الاجتماعية وتعارضها.

ولعل هذا هو أكبر حلقة في حلقات هذه الأزمة ولم تكن محاولة الازدواجية قاصرة على فصل التعليم الديني عن المدني بل كانت أكثر خطراً في ازدواجية اللغة فقد ركز تعليم اللغات (الانجليزية والفرنسية في الأغلب) على إعلاء اللغة الأجنبية والولاء لها على نحو جعل اللغة العربية في نظر العرب والمسلمين أقل مكانة بينما تعمل الدول الغربية على إعلاء شأن لغاتها وتعطيها طابعاً من القداسة والتكريم وتفرضها على كل من يتصل بها من شعوب، يحدث هذا بينما تتراجع اللغة العربية في بلاد إسلامية كثيرة اليوم وتتغير أبجدياتها لتخضع للنفوذ الأجنبي (وأمامنا الدول الأفريقية واندونيسيا وتركيا وغيرها).

ولقد كان واجبا أساسياً أن تعلم المسلم لأي لغة أجنبية يجب أن يكون في خدمة اللغة العربية وخدمة الإسلام فلا يكون للمسلم ولاءان ولا يرتفع شأن اللغة الأجنبية عنده عن لغة القرآن الكريم الذي يدين به.

وهناك أزمة الولاية للثقافة الفرنسية أو الإنجليزية أو الأمريكية وكل منها لها وجهات وتفسيرات تفرق كلمة المسلمين.

●●●

ولا ريب أن أيمان المسلمين بالقرآن الكريم والسنة النبوية مصدراً للفكر وبالشريعة الإسلامية منهجاً للحياة هو وحده المنطلق القادر على استعادة الأمة الإسلامية لوحدتها بعد أن عمل النفوذ الأجنبي خلال أكثر من مائة وخمسين عاماً على إعلاء القوميات والإقليميات وتدمير الوحدة الإسلامية في شتى صورها من الخلافة الإسلامية إلى الجامعة الإسلامية إلى غيرها والحيلولة دون قيام نظام إسلامي جامع.

ومايزال المسلمون يتحدثون عن قومياتهم وإقليمياتهم على نحو من الاعلاء والتقديس، باستعراض تاريخ قديم سابق للإسلام كالفرعونية والبابلية والفينيقية والبربرية والزنجية بعد أن قضى الإسلام على هذه الدعوات وبعد أن قرر علماء التاريخ والآثار أن الإسلام قطع كل هذه الروابط القديمة وصاغ العلاقات البشرية على نحو جديد مما يسميه الباحثون (الانقطاع الحضاري).

ومن أخطر المحاولات التي تجري الحصول من الإسلام على نصوص وتغييرات وتأويلات تخدم الدعوات المثارة، سواء الديمقراطية أم الاشتراكية وحتى العلمانية ولقد جرى الشيوعيون شوطاً طويلاً في الربط بين مفهوم الاشتراكية وبين مفهوم (العدل الاجتماعي) على مابينهما من عمق الفوارق، كما جرى دعاة الديمقراطية إلى محاولة الربط بينها وبين (الشورى الإسلامية) وهي محاولات باطلة مضللة لا تصل إلى شيء في الحقيقة إلا التشابه المرحلي من حيث أن الإسلام منهج رباني واسع الآفاق عميق الأبعاد سابق لكل النظريات ومهيمن عليها.

●●●

ولقد عمد دعاة التبعية والتغريب واحتواء الفكر الإسلامي على التركيز على ثلاثة أشياء أساسية في حياة المسلمين :

١- الحملة على الخلافة .

٢- الحملة على الشريعة الإسلامية .

٣- الحملة على الوحدة الإسلامية .

وكان للخطر الصهيوني الذي استطاع السيطرة على رأس جسر في قلب العالم الإسلامي أثره الكبير في أزمة الفكر الإسلامي المعاصر من حيث محاولته فرض جسم غريب على الأمة الإسلامية بالقوة وبالخديعة وبأساليب مختلفة وبمعاونة الدول الكبرى التي استطاعت أن تمكن له في الحصول على قوة عسكرية حربية توازي قوة الدول العربية مجتمعة بحيث لا يستطيع المسلمون والعرب ردعه أو دحره .

ومايزال (بيت المقدس) الخاضع للنفوذ الصهيوني مسؤولية المسلمين والعرب والقضية الأولى في حياتهم حتى يعود محرراً بأيديهم ولابد أن يجري ترتيب الأوليات بحيث يقيم المسلمون (فريضة الجهاد) ويتجردون من كل زخرف الحياة الدنيا حتى يستعيدوا مافقد منهم، وهنا تأتي عبرة الثروة والطاقة التي يمتلكها العرب والمسلمون اليوم ممثلة في كثير مما أخرجته الأرض من معطيات وفيما يقدمه النفط واليورانيوم وغيرها من ثروات كشف الله تبارك وتعالى عنها في هذا الموعد بالذات لتكون حصانة في يد المسلمين ومدداً قوياً لدفع الأعداء، ولابد أن تأتي عبرة (زكاة الركاز) التي تبلغ عشرين في المائة مما يخرج من باطن الأرض لتمثل القوة المادية التي هي ملك للمسلمين جميعاً في

مواجهة عددهم.

ولذلك يجب أن يكون واضحاً أنها مسؤولية الأمة الإسلامية والوطن الإسلامي والقدرة على مواجهة التحديات التي يتعرض لها.

●●●

كل هذا يصور أزمة الفكر الإسلامي التي تهدف إلى إزالة الهوية للقضاء على الذاتية الإسلامية ذات التميز الخاص حتى تنهار الخصوصية الإسلامية وتصبح الأمة الإسلامية منقادة إلى الولاء الغربي والتبعية الوافدة على نحو أو آخر، وذلك هدف يعمل له النفوذ الأجنبي من خلال مشروع يمكن أن يستمر مائة عام قادمة.

ولذلك فنحن في حاجة إلى الكشف عن عوامل هذه الأزمة ونعمل على تأصيل القيم الأساسية بعد كشفها:

١- كشف الشخصيات التي لمعت بالباطل وأتاح لها النفوذ الأجنبي فرص الظهور وسلطة الريادة (أمثال جرجي زيدان وسلامة موسى وطه حسين وقاسم أمين ولطفي السيد وعلى عبدالرازق ولويس عوض).

٢- رد اعتبار الأعلام الصادقين:

(أمثال عبدالعزيز جاويش وفريد وجدي والسلطان عبدالحميد وأمين الرافعي وحسن البنا وعبدالحميد بن باديس ومالك بن نبي).

٣- كشف أهداف الاستشراق والتبشير والغزو الفكري وكشف هدف تسميم العقل الإسلامي بالفلسفات المادية والمذاهب والايدلوجيات الوافدة وغرس قيم دخيلة على نظام القيم السائدة في

المجتمع وإعلاء هذه القيم تدريجياً لترتفع إلى مستوى القيم العليا مع إضعاف القيم الأساسية وإحالتها إلى مستوى القيم الفرعية.

٤- كشف فساد المنهج الفلسفي المرتبط بالكلام والاعتزال والتصوف الفلسفي والعودة إلى منهج القرآن الكريم.

٥- كشف زيف كتابات ابن سينا والحلاج وأبي نواس والسهروردي ورسائل اخوان الصفا وابن عربي وألف ليلة.

٦- كشف زيف الكتب القديمة لتعارضها مع العلوم الحديثة، وفساد نظرية دارون (على النحو الذي قدمه الدكتور موريس بوكاي) وغيره.

٧- كشف زيف الفللكور وقضية تحرير المرأة والروتاري والحوار وكشف فساد البهائية والقاديانية.

٨- كشف فساد التفسير المادي للتاريخ ومنهج العلوم الاجتماعية وعلوم النفس والأخلاق.

٩- ضرورة تحرير الإسلام والفكر الإسلامي من فلسفات سارتر وفرويد وماركس وكشف أخطاء قانون نابليون ومنهج دنلوب ودعاوى زويمر وسموم العلمانية جملة.

وبالجملة كل المناهج التي رسمتها نحلة الماسونية وفرضتها على العلوم والآداب فهذه كلها هي مصدر الأزمة التي يمر بها الفكر الإسلامي والتي لن يتحرر منها إلا إذا عاد إلى الأصالة وإلى المنابع وتخلص من هذه التبعية الخطيرة.

الفصل الخامس :

مخطط احتواء الإسلام

كان المخطط الذي اجتمعت عليه كل القوى المعادية للإسلام هو تقطيع أوصال الإسلام وأمة الإسلام وتقسيم المسلمين إلى شعوب شتى ينتمي كل منها إلى أرضه وجنسه ويكون ولاؤه لقوميته الجديدة وإخضاع مناهج التربية والتعليم لهذه التجزئة وإنشاء أجيال جديدة لا تعرف الوحدة الإسلامية الجامعة ومحاولة القضاء على الأقليات الإسلامية المتناثرة في عديد من الدول ذات الأغلبية المختلفة ديناً.

كذلك فقد استعان النفوذ الأجنبي بالعناصر ذات الطابع العرقي في المجتمعات الإسلامية وتوجيهها لتكون عاملاً من عوامل عدم الاستقرار وإعلاء شأن العصبية القبلية وكذلك إحياء الدعوات القديمة: الفينيقية والاشورية والبابلية والفرعونية والزنجية وغيرها التي صهرها الإسلام في بوتقته، وإعادة تحريكها من جديد.

كذلك فقد جرى عن طريق القوى الخارجية الغازية محاولة إحداث تغيير في وقائع التاريخ لحساب الفكرة الوافدة وقد توسعت الصهيونية في هذا المجال وجرت محاولات للقضاء على الطابع الأصيل للمسلمين في فلسطين والهند وقد استعين في هذا الصدد بمواقف بعض المؤرخين الذين كان لهم ولاء معين كابن اياس وغيره وذلك لخلق

تصور كاره للقوى الإسلامية التي حطمت نفوذ الصليبيين كالمماليك والدولة العثمانية وخلق رأي ظالم يخدم خصوم الإسلام.

كما عمل النفوذ الأجنبي على إيقاع الخلاف وقيام الصراع بين القوى الثلاث الإسلامية الكبرى (العرب- الترك - الايرانيون) مع استغلال الخلاف بين السنة والشيعة.

كما أحدث النفوذ عدة قوى لتمزيق جبهة المسلمين والعرب حول فكر اقليمي- وفكر قومي، وفكر علماني وفكر ماركسي.

وجاءت الحملة الصهيونية على نمط الحملة الصليبية وفي مواقعها الأولى دعت إلى استعادة قبر المسيح والثانية إلى بناء هيكل سليمان كذلك فإن أعمال كثيرة بدأت إسلامية ثم استطاع النفوذ الأجنبي السيطرة عليها وتحويل وجهتها...،...،...

وقد نجح النفوذ الأجنبي من أجل تثبيت وجوده في خلق الثورات والفتن الداخلية وكانت مواقفه التي انتصر فيها قائمة على التآمر والخيانة واستقطاب بعض ذوي المطامع.

●●●

وكان لويس التاسع أول من فكر في اقتحام الإسلام بما أسماه حرب الكلمة بديلاً عن حرب السنان بعد هزيمته في الحملة على مصر، ثم أصبح ذلك منطلقاً للعمل الذي بدأته أوروبا مع المسلمين.

أولاً : أخذت أوروبا مناهج التجريب والعلوم الإسلامية من طليطلة وقرطبة (بالأندلس) إلى أوروبا كلها ثم ادعت أنها لم تأخذ من المسلمين شيئاً.

ثانيا : استقطبت أوروبا تراث الإسلام، منذ أن وجه القناصل الأوروبيون أمراً إلى جمع كل تراث الإسلام من المساجد ودور العلم ونقله إلى الغرب فاستطاعت أوروبا أن تحصل على مئات الألوف من كتب المسلمين ثم حرمت المسلمين من الانتفاع بها.

ثالثاً : وجهت الجهود إلى الجانب المضطرب من التراث وكلفت العاملين معها في حقل التعريب بإحياء تراث الزنادقة (أبونواس والضحاك وغيره) (البابكية والمانوية والمجوسية والباطنية والقرامطة) ودفع المبعوثين المسلمين إلى جامعات الغرب بالكتابة عنه وتجاهل الجوانب الإيجابية من التراث.

رابعاً : تدافعت قوى التبشير المسيحية في مجتمعات المسلمين وركزت أساساً على استانبول والقاهرة وبيروت وأقامت فيها جميعها مراكز للغزو وارساليات كاثوليكية وبروتستانية.

خامساً : أعلنت خلال مؤتمرات التبشير عن إعداد الخطة الكاملة لتبصير المسلمين (وفي مدينة جاوه وارخبيل الملايو خلال عشرين سنة). وأن ينتهي من تنصير أندونيسيا كلها خلال خمسين سنة، واستغلت مؤسسات التبشير أحداث المجاعات والأوبئة والتصحر لإغراء المسلمين بالردة عن الإسلام نظير الحصول على الطعام.

سادساً: قام الاستشراق بالدور الأكبر في تحريف مفاهيم الإسلام وقيمه وكل مايتصل بتاريخه ولغته.

●●●

ومن ناحية أخرى طرحت في مجتمعات المسلمين تحت تأثير النفوذ الاستعماري فكرة العلمانية وأن الإسلام دين لاهوتي وكانت تجربة تركيا الكمالية هي السائدة حيث وضعت بمثابة نموذج تطبيقي للتجربة العلمانية ونشر كتاب على عبدالرازق بوصفه عالماً أزهرياً يقر بأن الإسلام دين روحي لا دين حكم وفرضت في مجتمعات المسلمين القوانين الوضعية التي تقبل بالربا والدعوة إلى تحرير المرأة وقبول مفاهيم فرويد وماركس ودور كايم ودارون من خلال نظام التعليم العلماني.

وكذلك فرض التصور الغربي على مختلف القضايا وإعلاء شأن البطولات والقيم الغربية والغض من شأن الإسلام وقيمه وتاريخه.

●●●

وقد عمدت قوى التبشير الغربي على ابتكار وسائل جديدة لتنفيذ مخططها وذلك بإنشاء مؤسسات وهمية وتقديم خدمات تحت ستار إنساني مزعوم.

قال ليسيوس أحد كبار مؤسسي الإرساليات التبشيرية: يجب أن ندرك ان الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب الإسلامية ليست مجرد خلافات بين دول وشعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية.

لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، وتعتبر (التنمية) مجالاً جديداً يستخدمه التبشير بدهاء للسيطرة على دول العالم الإسلامي

(وقد كان مجلس الكنائس العالمي قد قرر الاسهام في مشروعات التنمية المختلفة وإنشاء القرى النموذجية وهيئات إنقاذ الطفولة وتنمية المجتمع وتنمية الأسرة. . الخ. .

●●●

كذلك فإن هناك حقائق يجب أن تكون واضحة:

١- فالحملة الفرنسية لم تكن مبدأ اليقظة الإسلامية ولكنها كانت عاملاً من عوامل تدمير النهضة التي بدأها المصلحون المسلمون.

٢- المماليك الأيوبيون والعثمانيون هم الذين حطموا أحلام الصليبيين والقوى المعتدية والذين صفوا مراكز التتار والفرنجة.

٣ ان بطولات صلاح الدين وبيبرس ومحمد الفاتح هي بطولات حقيقية يذكر مع بطولات خالد وسعد بن أبي وقاص والمثنى.

٤- كذلك فإن هناك قاعدة يقبنية وضحت في جميع مراحل التاريخ الإسلامي وهي أن الإسلام يتجدد من داخله وأنه حين يصل إلى مرحلة من مراحل الضعف أو التخلف فإنه يصحح نفسه بالعودة إلى المنابع ونحن الآن على أبواب هذه المرحلة.

لقد وقف الغرب في دهشة وحيرة إزاء هذا العملاق الذي تشكل في أقل من مائة عام واستطاع أن يستمر في البقاء والنمو برغم كل محاولات تدميره وبالرغم من كل الفريات التي وجهت للانقضاض عليه:

بلاط الشهداء سقوط بغداد- سقوط الأندلس، حروب اسبانيا والبرتغال- سقوط الدولة العثمانية، سقوط الخلافة الإسلامية،

احتلال القدس.

لقد زادت انتصارات المسلمين وصمودهم في وجه العدو من أحقادهم ودفعهم إلى المزيد من المؤامرات والمحاولات للقضاء على هذه القوة الإسلامية المتنامية والتي وجدت لتبقى ولتقدم دعوتها إلى البشرية كلها بوصفها المنقذ الوحيد لها.

لقد تفاعل الإسلام مع مختلف المجتمعات العربية والفارسية والتركية والمغولية جميعاً وصهرها في بوتقته وأنساها أوثانها وإلحادها، وشكل عقليات أهلها وملأ روح قومها إيماناً بالله تبارك وتعالى وثقة بنصر الله وتقديم الأرواح رخيصة في سبيل إعلاء كلمته ولقد أولت الكنيسة الغربية ودوائر الاستعمار الاهتمام بتزييف التاريخ الإسلامي وتجنيد عدد كبير من المبشرين الذين يلبسون ثياب العلماء لإثارة الشبهات وقد تتلمذ على أيديهم بعض الحاقدين أمثال سلامة موسى وجرجي زيدان وفليب حتي ولويس عوض وكذلك بعض المسلمين المغررين وقد عمدوا إلى إثارة العنصريات وتعميقها بين العرب والترك والفرس بهدف اضعاف روح الإخاء الإسلامي ولكن قدرة الإسلام على تصحيح المفاهيم لا تلبث أن تعيد المسلمين إلى مفهوم الأصالة وتعود بهم إلى المنابع.

إن قدرة الإسلام على الانبعاث من الداخل في حالة انحراف أهله عن منهجه هي الأمر الذي يزعج النفوذ الأجنبي الذي يطمع في اخراج هذه الأمة عن منهج الله تبارك وتعالى.

لقد انهارت كل محاولات النفوذ الأجنبي في غزواته المتوالية وجهوده المتصلة من أجل احتواء الإسلام وتفريغ العقل المسلم من

قيمه ومفاهيمه وتزييف عقيدته وذلك كحل أساسي.

إن كثيرا من الأوضاع الخطيرة التي تمر بها الأمة الإسلامية إنما هي ثمرة انحطاط رسمت منذ وقت بعيد ونفذت بدقة خلال فترة الاحتلال الأجنبي الذي سيطر بعد تمزيق الدولة العثمانية وخاصة في منطقة ماحول البحر الأبيض (الشام- مصر- المغرب) بوصفها المنطقة المواجهة للغرب التي كانت أوروبا تحاول أن تستعيدها خلال الحروب الصليبية وبعدها، ولكن هذه الدول ماتزال تجاهد في سبيل حماية وجودها من الاحتواء الغربي كما تجاهد في سبيل تحرير بيت المقدس من أيدي مغتصبيه.

ولا يتم ذلك إلا بإحياء روح الجهاد.

إن الثقافة الإسلامية لم تستسلم إزاء الغزو الفكري ولم تغفل الاحتواء وإنما سعت إلى كسر أطواق الحصار لتعلن عن طابعها الخاص، الرباني المصدر الإنساني الوجهة العالمي الغاية.

وكان القرآن والسنة ميراثنا الخالد هو القوة القادرة على إخراجنا من الاحتواء والحصار والقدرة على إعادة تصحيح المسيرة.



الفصل السادس :

مؤامرة القضاء على الهوية الإسلامية

يزداد إيقاع الأحداث في العالم كله مع تنامي عقود القرن الخامس عشر الهجري الذي يتوقع أن تصل الصحوة الإسلامية فيه إلى مرحلة النضوج وامتلاك الإرادة واستعادة الحق ومن يطالع الأحداث منذ بزوغ هذا القرن يستطيع أن يثق بأن المسلمين قد خلّفوا فعلاً مرحلة البكاء على الأطلال وترنيمات التهافت على الماضي الذي انقضى والحزن عليه.

أعتقد أن الأحداث قد علمت المسلمين أن يخرجوا من دائرة العاطفة المهومة إلى دائرة البحث عن خطة، عن طريق، عن منهج يمكن به تفادي الوقوع في الأخطاء مرة أخرى بعد أن تكشفت لهم حقائق كثيرة ربما كانوا يجهلونها ووضحت لهم وجوه ربما كانوا حسني الظن بها وهي تخفي في أعماقها الرغبة في تدميرهم والقضاء على كيانهم.

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ (آل عمران آية ١١٩).

يجب أن يكون واضحاً لنا نحن المسلمين أن المؤامرة التي بدأت

منذ نزول القرآن وظهور الإسلام لاتزال مستمرة، وهي في كل عصر تأخذ طابعاً مختلفاً وقد نبأنا الله تبارك وتعالى من أخبارها وجاءت الأحداث متوالية ومتتابعة لتكشف لنا أبعاد المؤامرة التي تدبر للإسلام.

وقد وصلنا الآن إلى مرحلة توصف بأنها مرحلة اجتثاث الشجرة من جذورها، هكذا تخطط القوى المتجمعة من غربية وماركسية وصهيونية ولكن هل نستطيع؟ وهل الإسلام الذي جاء لينقذ البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور عرضة للأزمة؟. ومن الحق أن يقال ان الأزمة موجهة إلى المسلمين وأنهم هم الذين سيتحملون آعواقبها إذا ما عجزوا عن حماية الأمانة الموكولة إليهم والحفاظ على بيضة الدين.

فإذا تولوا فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.

أما الإسلام فإنه باق وهو ملاذ البشرية كلها وسوف ينصره الله إذا خذله أهله المتفرقون الآن والخاضعون للقوى المختلفة التي تصرب بعضهم ببعض.

إن أمامنا المثلات والتجارب والأحداث ماتزال قائمة يجب أن نلتمس عبرتها ونحاول أن نستفيد منها للوصول إلى طريق العمل الذي يجب أن يكون قد بدأ فعلاً.

فهذا القرن الخامس عشر الهجري هو قرن بناء الخطط العملية لتحرير العقل المسلم والنفس المسلمة من التبعية للفكر الغربي الوافد الذي خضعنا له أكثر من مائة عام منذ فرض علينا قانون نابليون ومنهج دنلوب وخطط زويمر.

ومنذ فرضت علينا إرساليات التبشير مناهجها التربوية والتعليمية التي تحولت إلى وزارات التعليم العربية بكل ماتحمل من أخطار وآثام وازدواجية.

هذه المناهج التي ركزت على الإقليمية والعلمانية والقومية والماركسية بتنويع يختلف في كل قطر عن الآخر ولكنها تجمع كلها على هدف واحد هو تمزيق الوحدة الإسلامية والحيلولة دون قيامها مرة أخرى ولقد نشأت في ظل المخططات دعوات وتنظيمات كشف الزمن عجزها عن العطاء وعدم قدرتها على تلبية مطامح النفس المسلمة والعربية التي شكلها الدين الحق من ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام في ترابط جامع لأمة واحدة تؤمن بالله الواحد وتسلم وجهها إليه خالصاً ومنه تستمد منهج الحياة والعمل والمجتمع كما رسمته الكتب السماوية المنزلة وحيث جاء القرآن الكريم فمقدمه للناس في الصورة العالمية الخاتمة بحيث أصبح هو منهج الفكر لهذه الأمة كلها بكل ألوانها وعناصرها كما حدث عن ذلك كثير من المخططين والباحثين.

فقد استصفى الفكر الإسلامي خلاصة الوحي الرباني كله الذي انزل على الرسل والأنبياء واستصفاه من مصدريه القرآن والسنة نوراً على طريق البشرية كلها إلى يوم القيامة فكان لابد أن يواجه من الدعوات والنحل والمناهج البشرية وهي التي عجزت عن العطاء وأسقطتها المتغيرات وكان آخر ذلك سقوط منهج الغرب الليبرالي وسقوط الماركسية فأسقطت هذه المناهج في مسقط رأسها وفي بلادها التي صاغتها، وأعلنت البشرية منذ سنوات طويلة أنها في حاجة إلى

منهج جديد ينقذها من براثن النظام الربوي الذي اغتالها، أما سقوط الماركسية على النحو الذي حدث فقد كشف عن عجز الايدلوجيات البشرية عن العطاء حتى انها بعد سبعين عاماً من سيطرتها على مجرى الأحداث ومن خلال فلسفة عريضة خالقت فيها مناهج الفطرة وعارضت حقائق الدين ومفاهيم العلم وحاولت أن تشق طريقها ضد التيار فعجزت وحاصرتها الأحداث وقصفتها الرياح وأسقطت منهجها وحطمت شراعها.

لابد أن نعي نحن المسلمين هذه الأحداث وأن نؤمن بأن قيام الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي وسيطرته على القدس قبلة المسلمين ومسرى رسول الله ﷺ هو من نفس العمل الذي يحاول أن يفرض ما يعارض الفطرة ويخالف حقائق الدين والعلم جميعاً فلابد من سقوطه. ولقد أقامت من قبل القوى الصليبية كياناً زائفاً في نفس الموقع لم يزل يقاومه المسلمون ويجتمعون له ويجاهدون في سبيل تدميره ويقدمون الأرواح رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى.

فالمسلمون اليوم في امتحان جديد هو أقسى من امتحان الحروب الصليبية ولكن الصحوة الإسلامية التي أثبتت اليوم رسوخ أقدامها وعجز الأعداء عن إزالتها قادرة على الثبات في الموقع وحماية الثغور واعداد قوى الردع الكفيلة برد العدوان واستخلاص الحق واستعادة بيت المقدس ولن يكون ذلك إلا من خلال وحدة الإيمان والارتفاع فوق المطامع والأهواء والتحرر من الترف والانحلال.

وليعلم المسلمون أن سقوط هذه الايدلوجيات كلها هو لحساب الإسلام وأن الغرب لن يستطيع أن يسيطر على العالم ويقوده نحو

الخضوع والتبعية بعد أن أثبتت مناهجه وايدلوجياته عجزها وفسادها وأعلن كبار العلماء والمفكرين الغربيين أأه لا أمل إلا في الإسلام فهو وحده القادر على إنقاذ البشرية.

ولكن أصحاب المطامع من عباد العجل الذهبي وامبراطورية الربا لايزالون يخططون من أجل السيطرة على الأمة الإسلامية وثرواتها ومقدراتها التي استنزفت منذ أكثر من قرنين من الزمان لحساب القوى العالمية في نفس الوقت الذي عاش أهل هذا الوطن يواجهون المجاعات والنهب والاحتواء في محاولة لإخضاع المسلمين والعرب وضرب بعضهم ببعض، ولقد استفاق العرب والمسلمون اليوم وعرفوا أنهم قادرون على التعامل السمح الكريم بين طوائفهم كما أمرهم القرآن وكما رسم لهم النبي ﷺ وكما وضع عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وغيرهم ميثاق الترابط بين العناصر المختلفة في قلب المجتمع الإسلامي العربي.

ومن هنا فنحن في أشد الحاجة إلى الدخول في مرحلة تحرير الهوية وتصحيح الوجهة وذلك بإقامة معاملاتنا سواء في مجال التجارة أو الزراعة أو الاقتصاد على أساس تحري الحلال وتجاوز الحرام.

وإن علينا أن نحرر مناهجنا التعليمية من الزيوف التي فرضتها الحضارة الغربية من أجل هدم وحدتنا العامة، وتحرير مناهجنا الاجتماعية والترفيهية من عوامل تدمير وحدة المجتمع وتكامله ولنحذر من أخطار التداخل الذي يرمي إلى تفريغ هذه الصحوة من مضمونها أو احتوائها أو تدميرها أو إجهاضها.

لقد بلغ المسلمون والعرب مرحلة الرشد وتكشفت لهم كل

الباب الرابع :

القضايا الأساسية في العمل الإسلامي

الفصل الأول : الدعوة الإسلامية والوحدة الجامعة.

الفصل الثاني : حماية الشباب من التيارات الوافدة.

الفصل الثالث : تكامل منهج التربية الإسلامي .

الفصل الرابع : الإسلام يقدم منهجاً متميزاً للعلم.

الفصل الخامس : سقوط نظرية دارون .

الفصل السادس : البيان العربي القرآني .

الفصل السابع : التراث الأصيل والتراث الزائف .

الفصل الثامن : الإسلام هو الذي يشكل وحده عقلية الأمة ووجدانها.

الفصل الأول :

الدعوة الإسلامية والوحدة الجامعة
وإقامة الفكر الإسلامي على اسلوب القرآن

إن منظومة الدعوة الإسلامية قد وضعت على قواعد صلبة مستمدة من منهج الدعوة الأولى تستمد قيمها وقواعدها من محكم القرآن وصحيح السنة وتلتمس طريق الخطة التي قام عليها رسول الله ﷺ في محاولة متجددة اليوم لإعادة الأمة الإسلامية إلى هذا الطريق الصحيح إيماناً بأنه هو وحده القادر على انبعاث النهضة الإسلامية من مقدراتها الحقيقية وعملاً على تصحيح المفاهيم وتحرير القيم بالعودة إلى المنابع والتماس الأصالة، ومن هنا كان لها ضوابط أساسية في مختلف المجالات تحرزاً من الوقوع في شرك الشبهات التي أثارها الاستشراق والتبشير والغزو الفكري من خلال محاولته التي ترمي إلى تقديم الإسلام للمسلمين في هذا العصر بمفهوم غربي أو مسيحي أو ماركسي وتحطيم أجنحته التي يقوم عليها بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع حيث تجري الفكرة الغازية على ما أطلق عليه (حرب الكلمة) التي تعمل على تقديم الإسلام إلى المسلمين اليوم بمفهوم اللاهوت أو العبادة وقصره على الصلوات والمولد النبوي وحجبه عن منهج المعاملات والشريعة والنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي هو جوهره المكين

الذي يتكامل مع التوحيد الخالص.

فالمؤامرة كلها معدّة لتذويب مفهوم التكامل الجامع للإسلام وإعلاء مفهوم الانشطارية القائم على (اللاهوت) أي العبادة على النحو الذي يفهم به مصطلح الدين في الغرب.

وترمي (المؤامرة في مجملها) : إلى تفريغ الإسلام من جوهره والحيلولة دون عودته إلى منابعه وإلى منهجه الأول البسيط الميسر البعيد عن تعقيدات الفلسفة أو علم الكلام أو الاعتزال أو التصوف الفلسفي.

ويمكن القول إن الدعوة الإسلامية تتميز وتختلف عن الفكر الإسلامي من حيث أنها تركز مهمتها الأساسية في العمل على العودة بالإسلام إلى منابعه وإلى أصالته وبساطته والتماس مفاهيمه من القرآن والسنة دون إحياء مصطلحات فلسفية أو صوفية أو باطنية مما لم يعرفه السلف الصالح ومما لم يكن في الإسلام حين اكتملت رسالته ومما هو من مصطلحات الغطرسية والفكر الهليني والفارسي والهندي القديم ومما جرى إحيائه في مرحلة سابقة بعد ترجمة الفلسفات القديمة ومحاولة ربطها بمنهج الإسلام السمح اليسير الرباني المصدر.

ومن هنا كان موقف الدعوة الإسلامية من الفكر الإسلامي المعاصر الذي يحاول كتابه- تحت اسم الإسلام- إحياء علم الكلام والاعتزال والفلسفة والتصوف الفلسفي وذلك بتقديم هذه المادة في دراسات جامعية بالإضافة إلى تقديم تاريخ الإسلام من خلال تخطيط استشراقي يطفىء نوره الحقيقي ويعلي شأن الخلافات بين الولاة والحكام ويجعل منها الصورة الرئيسية للتاريخ الإسلامي وكذلك

جرت المحاولة بالنسبة للأدب العربي المقرر في المناهج الآن والذي يقدم مجموعة من الشعراء والكتاب الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية واغربوا سواء في الفهم العقيدي (أبوالعلاء المعري) أو الفهم الخلقي (أبونواس وبشار والضحاك وغيرهم) ومايتصل بذلك من كتب الأغاني وألف ليلة وليلة ودمنة بينما يتجاوز مناهج الأدب العربي دراسة أعلام في البيان والمضمون قدموا أعلى معطيات القيم الاجتماعية والأخلاقية والنفسية.

فالإسلام في مفهومه الجامع ومنهجه الرباني الأصيل المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يقر :

أولاً : التصور الفلسفي الوافد من الفكر اليوناني والفارسي والهندي كله وهو تصور وثني أريد به وضع صورة للالوهية والكون وعلاقة الناس بربهم وبأحداث الحياة كالمطر والرعد والبرق وجعل الهة متخصصة لكل من هذه الأمور.

فهذا كله مرفوض تماماً فقد قدم الإسلام تصوراً كاملاً لعالم الغيب (الميتافيزيقا) من لدن حكيم عليم في آي القرآن الكريم لا يحتاج معه المسلم إلى ذلك التصور الوهمي الذي قدمته خيالات الفلاسفة.

ثانياً : ولا يقر الإسلام منهج اصول الدين المشتمل على علم الكلام والاعتزال ويراه مناقضاً لمفهوم التوحيد الخالص ولسنا في حاجة إلى التذكير بالدور الذي قامت به المعتزلة في الدعوة إلى فتنة خلق القرآن وماقام به الخلفاء الأربعة (المامون واخوته. . . على مدى خمسة عشر عاماً كان خلالها الامام أحمد بن حنبل ممتحنا بذلك الاتهام.

ثالثاً : ولا يقر الإسلام مفهوم التصوف الفلسفي وما يتصل به من مذاهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والإشراق مما حفلت به كتب ابن عربي والحلاج والسهروردي وابن سبعين وغيرهم.

ونحن حين نحذر من خطر هذه الكتابات في الفكر الإسلامي وفي التوسع فيها نذكر مدى الخطر الذي يصيب العقول الشابة والقلوب المؤمنة نتيجة قراءة هذه السموم التي لا داعي للعودة إلى إحيائها من جديد بعد أن انتهى أمرها ولم نعد في حاجة إلى إعادتها، ونحذر من كتابات المستشرقين في هذا الشأن حيث يضعون هذه المذاهب الهدامة في دائرة الفرق الإسلامية وهو إيهام باطل.

وذلك أن تقديم مفاهيم الفلسفات الفتوصية والباطنية على النحو الذي يكتب به بعض من يسمون أنفسهم مفكرو الإسلام هو عمل مردود ذلك أن التوسع في عرض هذه الفلسفات الوثنية والفارسية واليونانية وتقديم مراجعها مفصلة وعدم الكشف عن فسادها كل هذا له آثار خطيرة وهو يخالف منهج الدعوة الإسلامية التي ترى أن تقدم للشباب المسلم القيم في دائرة الإيجابيات بما يؤدي إلى تحرير العقيدة وإقامة مفهوم التوحيد الخالص بعيداً عن الخلط مع علم الكلام والاعتزال، والفلسفة والتصوف الفلسفي ويلتمس هذا المفهوم الأصيل من القرآن الكريم والسنة على النحو الذي عرفه المسلمون قبل ظهور الخلاف.

والدعوة الإسلامية حين نتوجه هذه الوجهة إنما تعمل أساساً على التحرر من كل مفاهيم الفرق والنحل والدعوات التي تأثرت بالفلسفة اليونانية من ناحية وبالفكر الغنوصي الفارسي من ناحية أخرى إيماناً بأن

القرآن الكريم والسنة المطهرة قادرين على تقديم تصور كامل جامع مستمد منهما دون حاجة إلى منطق اليونان أو مذاهب الاعتزال والتصوف الفلسفي.

ومن هنا فهي تضع كل هذا الفكر المنشور الآن في معاهد التعليم الديني موضع النافلة التي قد يدرسها الباحثون (إجمالاً) للالمام بأدوار تاريخية مضت وانتهت إذ لا حاجة للمسلمين اليوم بالعودة إلى دراسة هذه الصراعات والاختلافات المذهبية والعقائدية التي كانت مرتبطة بأحزاب سياسية وبظروف الحكم في فترات مختلفة والتي انتهت بانتهائها.

ولقد كان واضحاً تماماً أمام الدعوة الإسلامية أن هذه المذاهب والنحل من قرامطة ومزدكية ومانوية لا يمكن أن تدرس في صلب العقيدة الإسلامية ولكنها تدرس في اجمال بالغ في مجال الدعوات الهدامة ويجب أن يكون واضحاً أن هذه المحاولات هي لتقديم العقيدة الإسلامية على هذا النحو المضطرب من أجل الحيلولة دون وصول المسلمين إلى جوهر التوحيد الخالص أو فهم منهج الإسلام بوصفه نظام مجتمع قائم على مفهوم العقيدة الصحيحة المحررة من كل عوامل الاضطراب.

ولقد كان منهج الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي على مدى العصور قائماً على التكامل بين عنصري العقل والوجدان وقد عجزت المحاولتين التي حاولتاها المعتزلة والصوفية من الانفراد بالتصور الإسلامي عن وصول غايتها واستعلى مفهوم الإسلام الجامع بين الثوابت والمتغيرات والروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة.

ومن هنا فإن محاولة بعض الباحثين المسلمين التوسع في عرض هذه النحل والدعوات (في دائرة الفكر الإسلامي) وتفصيلها إنما هو عمل من الأعمال الخطيرة التي تحول دون الوصول إلى المنابع الأصيلة للإسلام وأنه- متابعة للخطة المسحوقة التي قام بها الاستشراق من أجل تصوير الإسلام على أمة (عقلانية) إسلامية أو إشراقية غنوصية هذه الخطة التي جرى عليها بعض الكتاب الإسلاميين بحسن نية ظناً منهم أنها عمل أساسي بينما هي في الحقيقة لا ضرورة لها فضلاً عن أنها محاولة خطيرة تصيب المفهوم الأصيل في النفوس المؤمنة بالاضطراب والشك وعلى الذين آبوا أن يصلحوا ما كانوا قد وقعوا فيه تحت تأثير دعوات سابقة.

●●●

وكذلك تقف الدعوة الإسلاميه موقفا مجرداً من تاريخ الإسلام فننظر إليه في ضوء مقررات الإسلام وتفرق بينه وبين دين ومنهج الإسلام نفسه بوصفه التجربة البشرية التي تقوم على الخطأ والصواب والتي تمثل في مجموعها ذلك العمل الكبير الذي قدمه المسلمون إيماناً بالله وبذلاً للنفس والمال في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا حيث استطاع الإسلام أن يقيم مجتمعاً ممتداً من حدود الصين إلى حدود نهر اللوار في أقل من ثمانين عاماً مما أدهش المؤرخين والباحثين الغربيين ولذلك فإن محاولة تصوير هذا التاريخ على أنه لم يكن إلا صراعاً بين الامراء والحكام أو مجموعة مؤامرات وخلافات، هذه محاولة باطلة ومضللة قام بها الاستشراق والغزو الفكري من أجل الحيلولة دون تمكين التاريخ الإسلامي من إعطاء الثقة الحقيقية بعظمة الإسلام في

نفوس الأجيال الجديدة من الشباب المسلم.

وفي هذا المجال يجري بعض الكتاب على محاولة إعلاء العنصر العربي أو الوطن العربي سواء أكان مصر أو الشام أو المغرب، أو اتهام العناصر التركية والفارسية بكونها كانت مصدر تراجع الحضارة الإسلامية، أو إيجاد صراع بين العرب والترك والفرس بإحياء خلافات قديمة قد انتهى أمرها ولم يعد هناك مدعاة لإحيائها ونحذر من التفسير المادي والماركسي لتاريخ الإسلام فهو باطل كلية.

إننا نذكر إخوتنا من المشتغلين بالفكر الإسلامي الأصلاء ألا يقعوا في الفخ الذي نصبه لهم مخطط القديس لويس الرامي إلى (حرب الكلمة) من أجل هدم مفهوم الإسلام الجامع الأصيل ولنذكر كيف واجه علماء المسلمين في عصر ترجمة الفلسفات اليونانية بالتخلي تماماً عن الأسلوب الفلسفي والكلامي المعتزلي والفلسفي الصوفي ومصطلحاته جميعاً (والعودة إلى الأسلوب القرآني) الذي وصفه الامام الغزالي بأنه كالماء لا يستغني به بينما أسلوب الكلام هو بمثابة الدواء لا يحتاج إليه إلا المريض.

ولقد قدم الأمامان الغزالي وابن تيمية تصوراً كاملاً لهذا الأمر فلم نعد في حاجة إلى العودة إلى اسلوب المعتزلة أو غيره من الأساليب الفلسفية فالشباب المسلم اليوم في حاجة إلى الانطلاق من أسلوب القرآن والسنة وبيانهما.

إن الحديث عن الفرق المعاصرة أو الغابرة سيحول دون عودة الأمة إلى الوحدة الجامعة التي حطمها النفوذ الأجنبي ومايزال حريصاً على بقاء الصراع المذهبي العقدي والفلسفي حتى لا تجتمع الأمة على كلمة سواء وإن الدعوة الإسلامية ترمي في أعلى غاياتها إلى العودة إلى

الوحدة الجامعة.

لقد فتح هذا الباب من أجل غاية خطيرة هو استبقاء الفرقة بين المسلمين وإعادة دفعها إلى أوحال الفرق وخلافات المذاهب فإذا سرنا نحن أصحاب الفكر الإسلامي الأصيل في هذا الطريق فإننا نكون قد حققنا غاية خصوم الإسلام ومكنا للاختلاف.

وهذا ماتحاول الدعوة الإسلامية أن تتجنبه وتبعد عنه فقد دحض الإسلاميون هذه المذاهب منذ وقف بعيد وكشفوا زيفها وحذروا من خطرها وانتهى الأمر، فإذا جئنا اليوم في تبعية لاتجاه الاستشراق ودوائر المعارف بإحياء هذه الفرق فإننا نكون قد خدعنا أمتنا ذلك أن هذه الفرق احدى نوعين: إما قديمة قامت في ظل تطورات سياسية معينة وهذه قد انتهت مع هذه الظروف السياسية فلم يعد لها بقاء.

وإما هي فرق معاصرة تمثل بعض الطوائف القائمة وهذه يجب تقريبها في أحضان مفهوم السنة الجامعة وتخليصها من بعض دعاواها لنلتقي مع المفهوم الجامع حول (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

أما بالنسبة للفرق الهدامة كالقاديانية والبهائية فهذه فرق ضالة وليست إسلامية ويجب كشف خطتها وحجبها عن أن ترصد مع الفرق الإسلامية وعلى الفكر الإسلامي أن يرد سموم رسائل اخوان الصفا ووحدة الوجود والحلول والاتحاد والفكر الاشراقي والفكر الباطني والوثني جميعاً (الأغاني- كليلة ودمنة - والشعر المنسوب إلى عمر الخيام).

ولابد أن نذكر هنا خطر ذلك الجيب المسمى بالحداثة والذي

يرمي إلى هدم القيم الإسلامية بوصفها من القديم البالي والسخرية بها عن طريق إدخالها في نسق من الشعر يحمل عناصر الاحتقار مستمدة من كلمات بعض الباطنية الملاحدة وإعلاء كتابات الحلاج وابن عربي وغيرها ذات التهويمات الخادعة المستمدة من مفاهيم القرامطة واخوان الصفا وكلمات أبينواس وبشار وابن الراوندي.

وقد حاول المهجريون وعلى رأسهم جبران خليل جبران ومخائيل نعيمة وإيليا أبوماضي منذ ثلاثينات القرن تقديم مفاهيم خطيرة ترمي إلى هدم البيان العربي القرآني وإحياء التوارتية في كتاب النبي لجبران هدم صريح للمفهوم الأصيل للدين الحق، بالإضافة إلى قصيدة اللا أدريه لابوماضي وقد جاء دعاة الحداثة المسمومة ليتخذوا من ذلك تراثاً لهم يمتد إلى الفكر الباطني والوثني الذي حمله السهروردي وابن سبعين متصلاً بالهلينية.

هذا التراث المسموم مترابط كله، وإن توزعت كلماته بين شعراء وكتاب كثيرون ويبقى الموقف واحداً وصريحاً بالرفض القاطع وتحرير الأسلوب العربي من هذه المصطلحات المضللة والعودة إلى أسلوب القرآن الممتد في السنة المشرفة.

لقد سقطت مقولات الماركسية ولكن النفوذ الأجنبي يريد ملأ الفراغ بسموم أخرى لن تخفى على الشباب المسلم الذي لا ينخدع.

الفصل الثاني :

حماية الشباب المسلم من التيارات الوافدة

كان السؤال: كيف يمكن حماية الشباب المسلم من التيارات الوافدة واخطارها نقول: منذ أن سيطر النفوذ الأجنبي على الأمة الإسلامية في الجولة الأخيرة (مرحلة الاستعمار والصهيونية) وبناء على تجربته الواسعة مع المسلمين في الحروب الصليبية والحملات المتصلة على الأندلس وشواطيء المغرب وشرق افريقيا في تلك الحملات الاستعمارية التي أطلق عليها البعثات الاستكشافية تغطية لأهدافها المدمرة في السيطرة على معابر البحار والبواغيز الإسلامية، منذ ذلك الوقت والمحاولة تجري مع المسلمين من أجل تفريغ مفهومهم الإسلامي من أصالته وقيمه ودفع المسلمين بوسائل الإغراء والرخاوة تحت اسم الترف والعصرية أملاً في تحقيق هدف أساسي هو احتواء هذه الأمة احتواء كاملاً بحيث يجعلها مستسلمة للنفوذ الغربي خاضعة له بكل ماتملك من مقدرات.

وتجري هذه المحاولة اليوم عن طريقين : عن طريق التعليم وعن طريق أدوات التسلية والترفيه (المسرح والسينما والاذاعة والتلفزيون).

وفي مواجهة الصحوة الإسلامية التي تحاول أن تثبت قواعدها في عديد من أقطار الأمة الإسلامية (الباكستان- الأردن- السودان-

الجزائر). نجد ان هناك استماتة في تقديم مفاهيم زائفة للأدب والفن والعمل على إعلاء أسماء لمعت بالباطل في ظل النفوذ الأجنبي وإعادة فرضها من جديد، وكذلك إعادة عرض كتب رفضها المجتمع الإسلامي لأنها تختلف مع مفاهيمه وقيمه، يجري الآن طبعها من أمثال كتب ابن عربي والحلاج في التقديم وكتابات على عبدالرازق وطه حسين وسلامة موسى ولويس عوض، هذه التي فاتها الزمن وتخلفت عن العصر الذي يشهد مشرق عصر جديد للإسلام.

كما نرى أن بعض المشتغلين بالتراث الإسلامي (ويسمونه العربي) هم أكثر الناس استهانة به ونقداً له واستصغاراً لشأنه.

كذلك فإن برامج ثابتة تكاد تكون يومية لا تقدم لأبناء المسلمين والعرب الا تراجم أعلام الغرب مع التعظيم والتفخيم والدعاوى العريضة بأننا لا نملك مثل هؤلاء الأعلام ومن هنا فيجب أن تنحني الجباه لهم تقديراً وإعجاباً ويغيب في هذا المجال الدور الذي قام به الإسلام أساساً حين قدم لأوروبا وللغرب المنهج العلمي التجريبي، وقدم القواعد الأساسية التي قامت على علوم التجريب والفلك والبحار والطب والجراحة وإنه من واجب الانصاف أن يعلم المشاهد العربي والمسلم أن أجداده كان لهم دور في هذه النهضة وانهم وضعوا الأسس التي بني عليها هؤلاء الأعلام الغربيون في المرحلة التالية وأن الصورة بهذا الشكل الذي تقدم به إنما توحي بأننا ايتام أمة خالية من كل فضيلة ومنقبة.

نحن لا ننتقص دور الغرب في العلوم ولكن يجب الا يزيل المسلم والعربي دور آبائه ودور حضارته الإسلامية التي كان القرآن والسنة

أساساً لها مصدر (التجريب) الذي لم تكن تعرفه الحضارات السابقة للإسلام كذلك فقد اختلطت كثير من المفاهيم في الفترة الأخيرة بحيث لم يعد الشاب المسلم يعرف الحقائق الأصيلة والثوابت الحقيقية ولربما تخدعه هذه المفاهيم المغلوطة عن أن الإسلام هو وحده المنهج الأصيل القادر على العطاء في هذه الساحة المضطربة من الدعاوي والأكاذيب.

وأنه وحده دون جميع الايدلوجيات القادر على الثبات مع تعبر الأزمنة والبيئات والقادر على العطاء مع اختلاف العقول والأمزجة وهو الأمل الباقي اليوم بعد فشل التجربة الغربية التي طبقها العرب والمسلمون منذ أكثر من مائة عام من خلال قانون نابليون والمناهج التعليمية الوافدة والنظام الربوي في عالم الاقتصاد وبعد سقوط الماركسية في معاقلها الأساسية بعد سبعين عاماً من محاولات فرضها على العقول والنفوس بما فيها من معارضة للفطرة والعلم والدين لا ريب أن الصحوة الإسلامية اليوم هي التي تدفع هذه القوى المختلفة للتجمع للمواجهة بهدف تدميرها والقضاء عليها أو إجهاضها قبل أن تستكمل قدرتها على العطاء والبناء.

فنحن اليوم في حاجة إلى استيعاب الموقف تماماً والحذر من الوقوع في الأخطاء وفي مقدمتها التعصب والعنف والجمود وعلينا أن نتحرك في أناة وصبر وثبات في المواقع.

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾. سورة النور آية ٥٥.

إن هذه الأمة الإسلامية الممتحنة اليوم بهذه القوى التي تطمع في أن تحتويها لقادرة على أن تمتلك إرادتها وتصح مفاهيمها وتستكمل كل ماينقصها من خلال برنامج شعبي لتربية المسلم على منهج الله بما يكمل النقص الموجود في المناهج الدراسية والثقافية وبما يقدم وجهة النظر الإسلامية لكل ما تطرحه الشاشة الصغيرة من قضايا وماتتناوله الصحف والمجلات الثقافية بحيث يستكمل المسلم ثقافته على نحو سليم بما يعينه على حركة الحياة والتعامل في المجتمع وفق شريعة الله في البيع والشراء وغيرها وبذلك يتجنب الانحراف إلى الربا أو الوقوع في المحرمات.

وبذلك تقوم المجتمعات الصغيرة على تقوى الله تبارك وتعالى وتتحرر من أخطار الأزمات التي تحاصر الأمة الإسلامية من كل جانب ثم نلتقي في مشروعات اقتصادية واجتماعية محررة من الربا مطبقة لمفاهيم المضاربة والمرابحة وبذلك يوجد المنطلق الاجتماعي لقيام المجتمع الإسلامي القائم على قاعدة : ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ .

لقد تدارس علماء المسلمين سر الأزمة الطارئة على الأمة الإسلامية وتعددت وجهات النظر ولكن الشيء الذي أجمعت عليه كل القوى الصادقة والمؤمنة هو أن تخلف المسلمين نتج عن شعور بالتراخي والفتور والأخذ بالرخص والانفصال عن تطبيق المنهج الرباني وتلك سنة الأمم التي علمها القرآن الكريم للمسلمين إذا غفلوا عن منهج الله وتجاوزوه ضربهم الله فسلط عليهم أعداؤهم ينالون منهم فلا يرجع عنهم هذا حتى يعودوا إلى الله ويطبقوا شريعته.

فلابد أن تعود هذه الأمة إلى العزائم بعد أن حطمتها الرخص والتجاوزات، ولابد من بناء الشباب المسلم على قاعدة المرابطة والقدرة على النضال والاستعداد للبذل والفداء وبيع النفس والمال لله تبارك وتعالى فإن هذا وحده هو منطلق التحرر من التبعية وحماية الثغور واستعادة القدس.

ولقد تبين للمسلمين أن للإسلام أسلحته ومقاييسه وقيمه الخاصة التي لا ينتصر إلا بها ولا يقوم إلا على أسسها فإذا ذهبت هذه الآن بعد أربعة عشر قرناً من العمل بمنهج رباني إلى منهج مادي ومقاييس مادية فإنها لن تفلح في تحقيق النصر. إن لنا نحن المسلمين مقاييس وقوانين وقيم تختلف اختلافاً واضحاً عن قيم المجتمعات الغربية في كل شيء.

في الثقافة، والحضارة، والفن، والمرأة والأدب والحياة والاجتماع والاقتصاد.

هذه القيم لابد أن تكون واضحة تماماً أمام المسلم بحيث لا تخدعه الكلمات البراقة ولا الكتابات المزخرفة عن أصالته ومنابعه ومنهجه القرآني وعن مثله الأعلى الذي قدمه رسول الله ﷺ للإنسانية والذي سيبقى قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الفصل الثالث :

تكامل منهج التربية الإسلامي

يهدف منهج التربية الإسلامية إلى بناء الإنسان القادر على أداء دوره في المجتمع من خلال مسؤوليته التي رسمها له الله تبارك وتعالى بوصفه مستخلفاً في الأرض يقوم على تعميرها وإقامة الله في الحياة بصدق التعامل مع الناس ومن خلال قيم الحلال والصدق والوفاء والإخاء البشري ومن هنا فقد تميز منهج التربية الإسلامية بالتكامل فالتربية الإسلامية تشمل جميع جوانب الشخصية الإسلامية حيث تتناول القوى الثلاث العقل والوجدان والجسم.

فتنشيء السلوك المستقيم والعاطفة النقية والاتجاهات الأخلاقية الكريمة وتوقظ المشاعر السامية.

كما تتوزع التربية الإسلامية على جميع جوانب الحياة:

(المدرسة- المسجد- المنزل- الشارع)

أما منهجها فهو مستمد أساساً من القرآن الكريم والسنة النبوية وقد وتها مستمدة من أعمال الرسول ﷺ ومواقفه، ودور الأسرة في التربية الإسلامية دور خطير فمسؤولية الآباء والأمهات عن رعايةأابنائهم كبيرة وهي أساس بناء الشخصية ويعتبر الإسلام (تربية

الفتاة) من الركائز الأساسية التي يجب العناية بها إيماناً بدور المرأة ومسؤوليتها الكبرى في رعاية البيت وتنشئة الأجيال. والمتابعة الدائمة المستمدة لتصرفات الأبناء وإبداء الرأي بالنافع وتشجيعه وبالضار والإنصراف عنه.

●●●

وتركز النظرة الإسلامية التربوية على بناء الفرد منذ مطالع حياته على عدة ثوابت:

١- الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- العناية باللغة العربية طوال مراحل الدراسة.

٣- إعداد المعلمين المشرفين على الطلاب عقيدة وأخلاقاً.

٤- استكمال التربية في النواحي الجسدية والعقلية والثقافية والاهتمام بالتربية المهنية والعسكرية.

والتركيز على روح الجهاد الإسلامي.

ويقرر علماء التربية الإسلامية أن لا تقتصر التربية الإسلامية على نقل المعارف والعلوم التي حصلها السلف وحدها وإنما من واجبها أن تمد الأجيال بالمهارات اللازمة لكسب معارف وعلوم جديدة واكتشاف حقائق عن طريق السمع والبصر.

كما يقررون ضرورة ارتباط التربية بالأخلاق فالتعليم وتحصيل الحكمة العملية لا يكون منتجا نتيجة إيجابية إلا إذا كان مرتبطاً بالقيم الأخلاقية باعتبار أن التعليم والأخلاق وجهان لعملة واحدة.

ولابد أن تبدأ التربية في المنزل وتستمر في المسجد والمدرسة وتبقى

رعاية الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم مستمرة يوماً بعد يوم لا تتوقف لحل كل ما يصادف الأبناء من مشاكل وقضايا وحتى لا يلجأوا إلى الغير لمعرفة وجهة النظر الصحيحة.

ويجب المحافظة على فطرة الناشيء ورعايتها وصقلها وتنمية جوانب الخير فيها بالثقافة الإسلامية من خلال صور الخير والرحمة التي تزخر بها السيرة النبوية والتدرج في هذه العملية حتى تستوفي هذه المواهب كمالها.

●●●

ويركز بعض علماء التربية الإسلامية على خصائص التربية الإسلامية وبمضمونها خمس عناصر أساسية كبرى:

أولاً: الأصالة:

وذلك باستمداد ثقافته ومعارفه ونظرته إلى الحياة وإلى المجتمع وإلى الناس من صميم المفهوم الإسلامي.

بعيداً عن النظريات المادية التي طرحت في أفق الفكر الإسلامي والتي تختلف اختلافاً عميقاً مع مفاهيم الإسلام.

(مثل الداورنية في الغرب والماركسية في الشرق والجنس عند فرويد).

ثانياً : الإيجابية :

وذلك عندما يكون هدف التربية الإسلامية إيجابياً قائماً على :

المسؤولية والالتزام الأخلاقي في بناء الحياة على موافقة سنن الله تبارك وتعالى في الكون المادي وفي حياة الإنسان .

ثالثاً : الشمولية والتكامل :

وذلك عن طريق الإيمان بالجانبين المحسوس والروحي .

رابعاً : التوازن :

بين الجوانب المختلفة بعيداً عن القلق والضياع .

خامساً : الأخلاق :

والإيمان بأن الضوابط الأخلاقية يجب أن تكون سمة أعمال الإنسان كلها (والأخلاق من القيم الثابتة المرتبطة بالعقيدة أصلاً) .

●●●

ويركز كثير من الباحثين في التربية الإسلامية على ضرورة دعم جانب العاطفة والإيمان والحب إيماناً بأن قوة العاطفة هي التي أحدثت روائع البطولات الإسلامية التي لا نظير لها في تاريخ الأمم.

وإن إهمال هذا الجانب في حياة المسلمين في هذا العصر أفقده العمق والرقة والسمو وقوة المقاومة.

●●●

ولما كانت مهمة المرأة المسلمة تختلف عن مهمة الرجل وتتكامل معها فقد وجب أن تعد لتربية الفتاة مناهج مختلفة تحقق الهدف الإسلامي الأساسي من مهمة المرأة ومسؤوليتها في رعاية الزوج والبيت وتربية الأطفال (باعتبار أن عمل المرأة طاريء عليها) ولا يحول دون تمرسها بواجبها الحقيقي.

●●●

كما يتطلب الأمر عدداً من المتطلبات الأساسية:

وأهمها تنقية وسائل الاعلام من التجاوزات الخطيرة التي قد تصور الانحراف الخلقي وكأنه أمر مشروع ولابد من تقديم برامج تراعي فيها حماية أخلاق الأبناء من الأخطاء الاجتماعية ولابد من القضاء على التناقضات القائمة بين المناهج الدراسية ووسائل الاعلام، وكل ما يتصل بالنظريات الغربية المتعارضة مع مفاهيم الإسلام وخاصة نظرية دارون ونظرية فرويد ونظرية ماركس وغيرها.

●●●

ولما كانت الأسرة هي الوعاء الأول للتربية الإسلامية فإن على

الآباء والأمهات الحضور الدائم في قضايا البيت ومسائل أولادهم ومايتصل بحياتهم خارج البيت حتى يعطوا الرأي الصالح والمشورة الصادقة.

كما أن على الآباء والأمهات توجيه نظر أبنائهم إلى ضرورة أداء الفروض كالصلاة والصوم، وتقديم صور من حياة الرسول ﷺ في مختلف المناسبات وخاصة الهجرة ومولد النبي وذكرى الإسراء والمعراج وغزوة بدر.

ولابد من إفساح مجال واسع للسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في ثقافة الأبناء.

والعمل على تكملة نواقص المناهج الدراسية وتربية الأبناء على احترام الأبوة والأمومة، وأداء حق الجار ورعاية القربى والبذل والتصدق، وأداء الزكاة خير مثال لذلك.

وأن ينشيء الأبناء على مفهوم سمح فيكونون قادرين دائماً على العطاء والبذل والإحسان إلى الفقراء وخدمة الضعفاء ومن يحتاجون منهم إلى المساعدة.

فإذا فعلنا ذلك وحدثت الاستجابة نشأ جيل كريم لا تستطيع أن تحتويه مؤامرات أفلام الجنس والجريمة ولاختفت من المجتمعات الإسلامية تلك الصور المنحرفة.

ولقد كشف أسلوب النقل والاقتباس من المناهج الغربية عن نتائج خطيرة أخّرت سير حركة اليقظة الإسلامية وحالت دون قدرة المسلمين على امتلاك إرادتهم وإقامة مجتمعهم الرباني سنوات طويلة.

ولقد ظنت الأجيال السابقة والتي واجهت الاستعمار أن التماسها أساليب الغرب في التربية والتعليم ربما حقق لها القدرة على الوصول إلى ماوصل إليه الغرب من حضارة ومدنية ولكن ذلك لم يكن إلا وهماً وخطأ سرعان ما كشفت الوقائع عن فساده، ذلك أن أمة من الأمم لن تستطيع أن تبني نفسها أو تجدد كيانها إلا إذا استمدت ذلك من جذورها وأصولها ومصادرها الأولى ومنابعها الحقة التي شكلتها أواصره.

ومنذ جاء الإسلام وبنى هذه الأمة فكرياً وروحياً واجتماعياً وأخلاقياً فإن هذه الأمة لن تستطيع أن تجد في ظل أي منهج آخر سبيلها إلى اليقظة والنهضة أو القدرة على المقاومة إذا حاصرتها الأحداث.

وكان النفوذ الاستعماري قد عمد أول ما عمد إلى هدم ثلاث دعائم في كيان الأمة الإسلامية.

١- حجب الشريعة الإسلامية في نظام الحكم.

٢- تغيير نظام الاقتصاد بفرض الربا.

٣- تغيير مناهج التربية والتعليم إخراج القرآن والإسلام.

من هذا البناء الثقافي وتفريغه من روح الإيمان بالله تبارك وتعالى ومنهج التكامل والترابط بين القيم والأخلاق وأسلوب الحياة.

ولا ريب أن إزالة التناقض بين منهج الإسلام في التربية ومقرراته في شأن خلق الإنسان وجمعه بين الروح والمادة، ومسؤوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وإيمانه بالغيب والوحي والبعث والجزاء وبين منهج التربية الغربي ومايتصل به من مناهج مفروضة على المدارس

والجامعات من نظرية دارون إلى نظرية فرويد وماركس ودوركايم وغيرها ومخالفة هذه النظريات لمفهوم الإسلام وتكامله الجامع لاستمدادها من الفلسفة المادية كل هذا يتطلب إعادة النظر وتصحيحه.

كذلك فإننا مازلنا نتطلع إلى إعادة الروح إلى منهج التاريخ الإسلامي ليكون قادراً على العطاء في بناء مستقبل هذه الأمة وملء قلوب المسلمين إيماناً بعظمة منهجهم وتاريخهم والدور الذي قام به أجدادهم وآباؤهم في سبيل نشر كلمة التوحيد الخالص وتحرير الأمم من جور الحضارات القديمة وإنشاء المنهج العلمي التجريبي الذي هو أساس الحضارة.

ومن هنا فإننا نطالب بأن يقدم للمناهج التي تدرس في الجامعات سواء في القانون أو الطب أو الفلك أو النفس أو الأخلاق بتقدير واضح للدور الذي قام به علماء المسلمين والذين وضعوا الأسس الأولى لبناء الحضارة الإنسانية.

وأن يتحرر من تجاهل الغرب للدور الذي قمنا به وتحرير مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد من التبعية سواء للفكر الغربي الليبرالي أو الفكر الماركسي أو مفاهيم الماسونية والفكر اليهودي التلمودي.

وهكذا يتبلور تصور إسلامي للتربية يمثل التكامل ويعمل على بناء الإنسان من جميع جوانبه.

أولاً: الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ثانياً: الجمع بين الروح والجسم والعقل.

ثالثاً: الجمع بين تربية الفرد وتربية المجتمع.

رابعاً: الجمع بين الغايات الوطنية والغايات الإنسانية.

خامساً: الجمع بين التربية دينية وخلقية وعقلية.

ويقوم هذا المنهج على التوازن والمواءمة فلا تطغى منه ناحية من النواحي على ناحية أخرى ويكون به الفرد فردياً واجتماعياً في آن فلا تطغي فرديته على جماعيته حيث يتكامل استقلاله الذاتي وتفتحه الروحي والعقلي معاً وينتقل من الأنانية إلى الغيرية، ومن الاهتمام الشخصي إلى التضحية للجماعة، إنه إعداد الفرد لذاته ولمجاوزة ذاته في نفس الوقت وبذلك ينتقل الإنسان من أهوائه إلى الحق ومن الحيوانية إلى الإنسانية ومن البشرية إلى الربانية فيكون قابلاً للارتفاع فوق المطامع والشهوات متجهاً إلى الاستعلاء على كل ما هو حرام وشر وإثم.

(﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾.

ولن يتم ذلك إلا إذا التزم المسلم: المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي.

هذا وبالله التوفيق..

الفصل الرابع :

الإسلام يقدم مفهوماً متميزاً «للعلم» يختلف في مقرراته عن العلم الغربي والفلسفة والعلوم الاجتماعية

فتح الإسلام أبواب العلم على مصراعيها أمام المسلمين، وبنى للعلم في منظومته مكاناً عالياً فقد افتتح الوحي باقرأ، وأقسم بالقلم وكرم العلماء وقرر أن العلم مفهوم جامع لكل من علوم الدين وعلوم الدنيا وكان بذلك منهجاً مختلف كل الاختلاف عما عرف عن بعض الأديان من معارضه للعلم أو صراع معه.

ولكنه أقام تحفظات أساسية في النظرة الإسلامية إلى العلم، سواء فيما يسمى بعلوم القدماء (اليونان والفرس والهنود) أو العلوم الغربية المعاصرة التي بدأت نتيجة لامتلاك الأوربيين للمنهج التجريبي الإسلامي والتي تحولت إلى مفاهيم قائمة على الأسس الوثنية التي عرفها اليونان والرومان حيث اختلف في الوجهة والغاية مع مفهوم العلم الإسلامي.

ولقد فرق الإسلام بين العلم وبين الفلسفة من ناحية كما فرق بين العلم وبين مايسمى العلوم الإنسانية والاجتماعية من ناحية أخرى

وقرر أن الفلسفة هي تصورات بشرية مصدرها العقول والأهواء يمكن أن تخطيء وتصيب، ولكنها ليست علماً بمفهوم العلم التجريبي الذي تقرر نتائجه في المعامل وعن طريق الأنابيب.

كذلك فإن مايسمى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ليست إلا تجارب عقول بشرية صدرت عن بيئاتها الخاصة وهي محدودة وليست عالمية، وهي مرتبطة بالعصر والثقافات والأوضاع الاجتماعية فهي بذلك ليست علوماً عالمية تصلح للمجتمعات المختلفة أو العصور المتباينة وهي في أغلب الأمر تتمثل في ردود أفعال لا فعال حادثة.

ومن هنا فإن الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية ليستا من العلوم الأساسية ذات الطابع العالمي الصالح لكل المجتمعات وبالأحرى فهي ليست صالحة للتطبيق في المجتمعات الإسلامية التي تقوم على ثقافات وعقائد ومفاهيم وقيم تختلف عن مفاهيم بيئات الغرب التي نشأت فيها هذه الفلسفات وتشكلت.

ذلك أن المسلمين قد أغناهم ميراثهم (القرآن الكريم والسنة المطهرة) بأن قدم لهم تصوراً كاملاً لعالم الغيب (الميتافيزيق) لم يعودوا بعده في حاجة إلى التصورات الفلسفية التي وضعها بعض الفلاسفة لعوالم الغيب المحجوبة والعالم الآخر والتي جاءت الفلسفة المادية في مرحلة أخيرة لها فانقضت عليها ودمرتها تماماً.

كذلك فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية إنما صدرت أساساً من تصور مادي للإنسان قوامه (نظرية دارون) وتفسيرات علماء الاجتماع لها (أمثال هريرت سبنسر) حيث اصبح التطور البيلوجي تطوراً مطلقاً لكل الكائنات والأوضاع، ومايتصل بذلك

من نظريات فرويد ودوركايم وكلها تحاول أن تقدم الإنسان بصورة (حيوان ناطق) منطلق وراء شهواته حيث تكون الجريمة فطرة والزواج ليس من الفطرة كما تقول نظرية العلوم الاجتماعية.

ولاشك أن الفكر الغربي يستمد هذا المفهوم للإنسان من الفلسفات اليونانية والرومانية القديمة وبعض التصورات الخاطئة التي نسبت إلى الديانتين اليهودية والمسيحية فضلاً عن مقهوم الوثنية والباطنية والفكر الافلاطوني والغنوصي جميعاً. .

كذلك فإن الإسلام لا يقر تطبيق مفهوم العلوم التجريبية على العلوم الإنسانية والاجتماعية لأنها تتصل بالإنسان الذي لا يخضع خضوع المادة لعملية التجريب .

●●●

أما الفكر الإسلامي المستمد من القرآن والسنة والذي تشكل في ضوء التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً فإنه قدم للإنسان تصوراً مختلفاً عن هذا التصور المادي والوثني والغربي.

فالإنسان في مفهوم الإسلام أكرم مخلوقات الله تبارك وتعالى وهو المستخلف في الأرض والمكلف بالعقل والمعد لعمارة الأرض والسعي فيها من خلال المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي.

وفي حدود تصرفه وعمله يكون حسابه وجزاءه فليست هناك خطيئة أصلية ولاتزر وازرة وزر أخرى، فضلاً عن إيمانه بالغيب والبعث والجزاء واليقين بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً وبالنبوة والوحي.

وهو مفهوم مختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الإنسان في الفكر الغربي بما يؤكد عجز العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية الوافدة عن العطاء الصحيح لأنها وضعت من خلال تصور ناقص يعتبر الإنسان كياناً مادياً منفصلاً عن كيانه الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب.

فإذا انتقلنا من دائرة الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية إلى دائرة العلم التجريبي نفسه كان للإسلام موقف واضح مختلف فليس صحيحا مايذيعه بعض العلمانيين من أن المسلمين يقبلون (بالعلم الغربي) المعاصر قبولاً كاملاً بحجة أنه بعيد عن الفلسفات والمفاهيم المادية والوثنية أو أنه علم تجريبي مجرد.

ليس هذا صحيحاً على إطلاقه وإنما نرى أن للإسلام موقفا واضحا من العلم التجريبي الغربي حيث أن له على منطلقه تحفظات وضوابط خاصة فيما يتعلق بالوجهة والتطبيق.

فالعلم الغربي يصدر عن استعلاء كاذب مضلل حيث ينكر صانع الحياة والعلم والكون كله ويضع كلمة (الطبيعة) بديلاً عن الألوهية وهذه أكبر أخطائه.

ثم إنه ينطلق من مفهوم المادة فينكر كل الجوانب الروحية والمعنوية للإنسان والحياة وبذلك يتجاهل جانباً هاماً هو الصلة بين الإنسان وعلومه وبين الله تبارك وتعالى وخالق العلوم أساساً وخالق الطبيعة وفاتح آفاق العقل الإنساني لكشفها واستيعابها فالعلوم التي تدرس للشباب المسلم في جامعاتنا تنقل من الغرب وتتجاهل صلة هذه العلوم مع النفس المسلمة بالله تبارك وتعالى ولا تشير إلى ذلك أي إشارة.

وللمسلمين في منهجهم المستمد من القرآن والسنة عقائد أساسية حول طبيعة هذا العالم وعلاقته بخالقه تبارك وتعالى.

ولما كان العلم الغربي قد تجاهل الحقائق التي قدمها الدين الحق فقد تصور فروضاً منها الصدفة والجبرية ونظرية الانفجار الهائل وغيرها من مفاهيم مغلوطة حيث إن الكون في مفهوم الإسلام لم يبدأ بالانفجار ولم يتطور بالصدقة ولا يقر التطور المطلق.

●●●

ولقد كان لعجز العلم الحديث عن النظر إلى مفهوم الدين الحق الإسلام واستعلائه على الدين جملة مصدراً لهذه الفروض المضللة التي كشفت التجارب عن فسادها وعجزها عن تقديم الرأي الصائب الذي يكسب ثقة النفس الإنسانية.

وأخطر هذه الفروض: ماسمي (الحلقة المفقودة) في نظرية دارون إذ كيف يمكن لنظرية ناقصة بها حلقة مفقودة أن تتصدر مجال العلم وتظل مسيطرة أكثر من مائة عام، لولا وجودا الملاحدة والصهيونية من ورائها والذين كانوا يبحثون عن سناد لبروتوكولات صهيون من أجل تدمير الإنسان (الجويم) غير اليهودي.

ومن هذه النظريات نظرية خلق الكون ونظرية الوراثة ونظرية حيوانية الإنسان ونظرية الجنس التي قدمها فرويد واعتبرها منطلق حياة الإنسان.

هذه الفروض التي قدمها العلم الحديث حول نشأة العالم ليست أقل خطأ من الفروض التي تصورها الذين كتبوا الكتاب بأيديهم

وقالوا: إنه من عند الله.

وفي مواجهة هذه المقولات تقرر آي القرآن في حسم:

﴿ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾. سورة الكهف آية ٥١.

فليست هناك نظرية الانفجار العظيم، ولا نظرية توالد الإنسان من الحيوان.

ومفهوم الإسلام أن هذا العالم خلق بعد أن لم يكن فليس أزلياً ولا أبدياً بأي شكل من الأشكال وقد ابتدأ من العدم وسوف ينتهي لقيام الساعة وتبدل الأرض غير الأرض والسموات.

ولقد كانت أخطر مغالاة رجال الدين هي رفع الإنسان من بيئة البشرية إلى مرتبة الالوهية كما فعلت المذاهب الوضعية فيما قبل التاريخ أمثال البوذيين والكرستين (كرشتا) الهنود الذين رفعوا كرشتا وبوذا إلى مصاف الالهة وكانت هذه المغالاة سبباً لانتشار فكرة التطور المادية وهي فكرة أبى اصحابها الاعتراف بمبدأ الخالقية ومايترتب عليه فهي بمثابة رد فعل لوضع الإنسان في درجة الحيوان.

وقد مضى علماء الغرب في الطريق الصعب وحاولوا فهم الأمور من منطلق الاسطورة وتراث الانتربولوجيا فأخفقت معطياتهم جميعاً:

١- أخفقت في نظرية الطمطومية ونظرية القانون الطبيعي وفي نظرية خلق الإنسان (التطور).

لقد كانت كل هذه الفروض والتصورات الخادعة توضع موضع العلوم ولاتزال تنتقل إلى البيئات الإسلامية على أنها حقائق وعلوم

والهدف هو فرض مفاهيم الفلسفة المادية التي تتصدر الآن الفكر الغربي كله وترمي إلى محاولة هدم الغيب والنبوة والالوهية أساساً.

لقول الدكتور ضياء الدين سردار في كتابه (استكشافات في العلوم الإسلامية) لقد ثبتأان العلوم الغربية تشكل تهديداً خطيراً للهوية الإسلامية لأنها تعكس القيم الغربية وليس تلك الإسلامية وليقول: إن علم الغرب لا يهدد العالم الإسلامي فحسب بل ينسحب تهديده على العالم بأسره، لأن الأبحاث والطبيعيات العلمية الغربية مجردة من كل حدود الأخلاق وكل المسؤوليات الاجتماعية.

ويقول أحد الباحثين في العلوم التجريبية إن هناك فارقاً بين العلوم التجريبية ونتائجها الثابتة وبين الفلسفات والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية فقد حاولت هذه المذاهب أن تعتبر نفسها علماً للمجتمع على مستوى دقة علوم الطبيعة (التي ساد الاعتقاد بأنها توصلت إلى الحقائق النهائية) عن تظاهر الطبيعة والمادة في الكون ولكنها فشلت وقد قدم طه حسين مفاهيم دور كايم في العلوم الاجتماعية على أنها قوانين علمية وفشل في اثبات ذلك.

وقد اتضح في الحقيقة أنها مقولات جزئية ومؤقتة وليست مطلقة ولا نهائية ويؤكد بعض الباحثين أن علماء الإنسان في الغرب عمدوا إلى تصفية ماتبقي من الجوانب الروحية للإنسان وتعريته ما أمكن ونسبته إلى المخلوقات الحيوانية تبعاً لنظرية دارون حول النشوء والارتقاء وذلك بالتركيز على جانب الغرائز التي تربطه بالحيوانية كما أقام فرويد نظريته في علم النفس على حيوانية أصل الإنسان التي قال بها درون.

وبنية الصراع هي إحدى البنيات المشكلة للفكر الأوروبي

والقائمة على ثنائية الروح والجسد وثنائية العقل والعاطفة.

أما الإسلام فإن فكره يقوم على أساس التوازن والتكامل فالإنسان روح وجسد وعقل ووجدان والإسلام دين ودنيا وعقيدة وشريعة والإيمان علم ظاهر وباطن وقد تميز الإسلام بالوسطية في مقابل الجدلية التي طبعت الفكر الأوروبي.

وقد جمع الإسلام في اهاب واحد بين منهج العلم ومنهج الوحي وجمع بين النظرية والتطبيق كما أقام الإنسان على قاعدة المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي والإيمان بالبعث والجزاء. فالعلم الإسلامي يتكامل مع بنيات الفكر الإسلامي كلها ولا ينفصل عنها ويقوم على أساس الأخلاق والارتباط بالوحي والغيب ويقرر أن مصادر العلم من عطاء الله تبارك وتعالى وأن نتاج العلوم هو للإنسانية كلها وليس لطيفة معينة أو دولة معينة ويطالب الإسلام البشرية بالعدل والرحمة ويقرر نظام الزكاة ويرفض استعلاء الإنسان على الإنسان أو أمة على الأمم.

الفصل الخامس :

الفصل في قضية الخلق
وسقوط نظرية دارون

لا ريب أن فكرة عقد مؤتمر إسلامي في أم القرى لدراسة نظرية التطور وفكرة الدارونية واتخاذ موقف منها بعد أن شهد العالم كله في السنوات الأخيرة وبعد مرور مائة عام تراجعاً كبيراً في موقف العلماء من هذه النظرية التي لم تكن في أشد أيامها تألقاً إلا نظرية ناقصة يغيب عنها ما أطلق عليه اسم (الحلقة المفقودة).

ولذلك فقد رحّبنا بالمساهمة في هذا العمل في رغبة شديدة لتحرير شبابنا المسلم في كل مكان من أرض المعمورة من ذلك التناقض الذي يمر به بين مفهوم الإسلام الأصيل في خلق الإنسان دين تصور وفرضية لم يتأكد بل وجاءت الحفريات لتنقضها وترفضها تماماً .



نشأت الفكرة أساساً في رحاب الإرساليات التبشيرية التي ظهرت في لبنان (والتي قادتها منظمتين احداهما بروتستانتية (أمريكية) والأخرى كاثوليكية (فرنسية) حيث خرجت أول دفعة من خريجيها الذين جاءوا إلى مصر وتصدروا في قيادة الصحافة (حروف وغير

ومكاريوس) وتقلا وجرجي زيدان وغيرهم كثيرون، وكان في مقدمتهم: الدكتور شبلي شميل الذي حمل لولاء ترجمة كتاب (أصل الأنواع) (شرح بخنر).

وذلك عام ١٨٩٠ بعد أن ركّز الاستعمار البريطاني أقدامه في مصر بأقل من عشر سنوات.

ثم نشر كتابه فلسفة النشوء والارتقاء ١٩١٠.

وكانت مجلة المقتطف هي المجال الأكبر للمراجعات ومواصلة طرح الشبهات والتركيز عليها.

وإذا كانت القاهرة في هذه الفترة هي الساحة الفكرية والثقافية للبلاد العربية كلها فإن الهند كانت الساحة الأخرى التي انطلق منها مايسمى بالنتشيرية[1] وهي ما تصدى لها السيد جمال الدين الأفغاني بكتابه (الرد على الدهريين): هذا الكتاب الذي يعدّ أول ردّ على هذه النظرية وكان سيد أحمد خان قد حمل لواء هذه الفكرة في الهند ودعا إلى الفكر المادي وسيد أحمد خان هو صاحب التيار الذي أيد النفوذ البريطاني ومنه ظهر القادياني بعد. وقد توالت بعدها الكتابات وكان في مقدمتها ما كتب العلامة فريد وجدي الذي هاجم الفلسفة المادية سنوات طويلة والذي يمكن أن يقال إنه الرجل الذي وقف في وجه مفاهيم شبلي شميل بأسلوب علمي حصيف.

ثم جاء دور إسماعيل مظهر الذي حاول أن يخفف مفهوم الإلحاد في النظرية ويرده إلى مفاهيم أخرى ثم جاء دور سلامه موسى مؤلف

---

(١) النتشيرية نسبة إلى كلمة (نيتشر) أي الطبيعة.

كتاب نظرية التطور وأصل الإنسان والذي حمل لواء هذا الفكر مدى حياته.

أخطر ما هنالك هو دخول هذه النظرية إلى مقررات التعليم وحدوث تلك الازدواجية الخطيرة بين مفهوم الإسلام ومفهوم الفلسفة المادية والآثار الخطيرة التي نتجت عن ذلك وكيف تأثر بهذه النظرية الشباب المثقف الذي زلزلت عقيدته.

وأمامنا في هذا المجال تجربتين:

الأولى: تجربة الأستاذ العقاد الذي آمن بنظرية دارون وقد جاء ذلك في كتابات العقاد بعد أن صدر الجزء السابع من دائرة معارف فريد وجدي (هذا الجزء الذي خصصه لإثبات وجود الله) تبارك وتعالى) فانبرى العقاد للرد على فريد وجدى وتسفيه آرائه.

وهي قصة معروفة، غير ان الاستاذ العقاد لم يلبث أن عاد إلى الايمان وسجل ذلك في كتابه (في بيتي).

الثانية: تجربة نجيب محفوظ التي سجلها في قصته (بين القصرين) حيث يصور مدى ماتركته نظرية التطور من آثار في فكره وفكر مثقفينا في مطلع القرن العشرين وما أدّت إليه هذه الآثار من فراغ كبير لدى قطاعات عريضة من المجتمع، لعل أبرز دواعيه (كما يقول دكتور إسماعيل على في بحثه تحت عنوان (إعصار في الفكر الغربي الحديث) الهلال (ابريل ١٩٨٨) هو ماتصوره البعض من أن هذه النظرية تؤدي إلى الشك في معتقدات دينية أساسية خاصة بخلق الإنسان.

وقد صور نجيب محفوظ آثار هذا عليه (كمال في القصة).

هذه التساؤلات التي عرضت على ذهنه مرات ومرات كان من جرائها لا يكاد يرى للنوم سبيلاً إلى عينيه ولم يكن يغمض له جفن حتى الصباح، وهو الذي أدّى به إلى القول المعروف عن الملاحدة (إن تحرره من الدين سيكون أقرب إلى الله مما كان في إيمانه به فما الدين الحقيقي إلا العلم الذي هو مفتاح أسرار الكون وجلاله).

وهو كلام ظاهر البطلان لا يثبت أمام الحقائق الدامغة.

وهكذا كان لهذه النظرية آثار بعيدة المدى على الشباب المسلم المثقف في مختلف البلاد الإسلامية ولايزال هذا الأثر قائماً حتى اليوم، إذ ماتزال مناهج الدراسة في عديد من البلاد العربية تحتوي على هذه النظرية التي نقلها إلينا شيلي شمسي .سماعيل مظهر وسلامه موسى ويحس الشباب بالازدواجية والتناقض بين مايقوله درس الدين ودرس الطبيعة.

لعلنا نتعرف على خطورة هذا التيار حين نعي ماتردده بروتوكولات صهيون عن دارون- وكيف استخدمت الصهيونية هذه النظرية في التركيز على (حيوانية) الإنسان وإسقاطه تماماً، وهي تعني إنسان الجويم وكيف استخدمت نظرية دارون في تبرير الاستعمار الذي سيطر على المسلمين والعرب في قارتي آسيا وافريقيا بمفهوم التأخر والتخلف وسيادة إصحاب الدماء الزرقاء وضياع الحضارة.

والمعروف أن هربرت سبنسر هو الذي نقل نظرية دارون من مجال البيولوجيا إلى مجال الاجتماع ومن ثم ظهر مفهوم جديد هو (التطور

المطلق) الذي نادى به سبنسر ثم عمقه (هيجل) حين جعل من التغيير قاعدة دائمة وألغي مفهوم الثوابت وبالغ في ذلك مبالغة شديدة جعلت التغيير بمثابة المطلق حين تجاوزت مفهوم الثبات، وهذا المفهوم يختلف اختلافاً واسعا وعميقاً مع مفهوم الإسلام الذي يقرر نظام الثوابت والمتغيرات والآن وبعد مائة عام توالت حقائق كثيرة تدحض هذه النظرية سواء من عالم البيلوجيا نفسه أم من الحفريات التي ظهرت والتي تسجل فردية الخلق الإنساني واستقلاليته وكان في مقدمة ذلك كتاب الدكتور بوكاي (أصل الإنسان) الذي أصدره المكتب العربي للتربية.

فضلاً عن القضايا التي رفعها أولياء الأمور في عدد من بلدان الولايات المتحدة لمنع تدريس هذه المادة لأبنائهم فيها لصالح الآباء وقد جاء في الحكم القضائي أن نظرية النشوء والارتقاء ليست من الحقائق العلمية وأنها من قبيل الاحتمالات الفرضية فقط وأن المدرسة ملزمة بأن تبين هذه الحقيقة للتلاميذ.

ومن هنا فنحن في حاجة ضرورية إلى وضع مقررات أساسية في هذا المجال تلتزم بها بلادنا ومدارسنا وتتفق مع ثوابت ديننا.

لقد كان هدف دارون والذين حملوا نظريته وأذاعوا بها معارضة الدين والكنيسة والتقليل من أهمية الكتب المقدسة كما قال بوكاي.

ولقد حملت هذه النظرية إلى بلادنا الإسلامية في أول عصور الاستعمار بهدف تدمير المناعة الإسلامية وخلق مفاهيم مضطربة ضالة تفتح الطريق إلى الإلحاد وهذا هو ماحملته الفلسفة المادية جملة.

ولذلك فهم لم يقفوا بالنظرية عند مفهومها العلمي البيلوجي، بل ساروا بها ليهدموا نظام الثوابت الذي أقامته الأديان وبعد أن كان ارسطو يقول بالثبات الكامل جاء هيحل ليقول بالتطور المطلق وكلاهما مفهوم غير صحيح ولا يتفق مع الفطرة أو العلم أو الدين الحق.

ولقد زلزلت هذه الأفكار المفهوم الديني عند الشباب المسلم وتأثر بها لطفي السيد (انظر قصة حياتي) ونسى هذا الجيل الآية الكريمة ﴿**ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ وقد ثبت من الحفريات ان الإنسان خلق تاماً ومستقلاً عن كل نوع آخر وأنه لم ينحدر من سلالة أخرى وآخر مسمار في نعش نظرية دارون أنه كان يقول بالحلقة المفقودة والتي لم يصل إليها أحد بعده.

الفصل السادس :

البيان العربي القرآني
محاولات لتدميره ومحاذير لهدمه

في محاولة لاجتياح الذاتية الإسلامية المتميزة، واحتوائها والعمل على اختراق خصوصيتها تطرح القوى العلمانية مجموعة من الأفكار المسمومة في محاولة لصهر الفكر الإسلامي (المستمد من القرآن والسنة) والذي يمثل منهج الله تبارك وتعالى في بوتقة الفكر البشري الوثني الاباحي الذي يحاول اليوم تحقيق السيطرة العالمية.

وتتركز أخطار كثيرة اليوم على البيان العربي القرآني لاختراقه، سواء من ناحية الاسلوب والأداء أو من ناحية المضمون.

بدأت هذه المحاولة بمعركة الشعر الحر، واتصلت بالدعوة إلى الحداثة وامتدت إلى الكتابة الجنسية المكشوفة، وكان أخطر محاولاتها إحياء تراث الأساطير والكشف عن زيفه ومحاولة إحياء قصص بابل وسومر واشور وفينيقيا واحياء اسطورة جلجامش وايزيس واوزيريس.

ويساعد على هذا تيار جديد خطير يحاول إحياء دعوة البحر المتوسط وتراث اليونانية واللاتينية دون تقدير لحقيقة أساسية حاسمة

هي أن الإسلام حين جاء قد أقام (انقطاعاً حضارياً) بين عصره وبين كل ماسبق.

ويجري تيار (الحداثة) في عدة جداول فلسفية، وأدبية، وتاريخية تقوم على أساس إثارة جو قوامه الغموض والتمرد على القواعد النحوية والوزن والقافية وإنكار وضوح المعنى في دعوة عريضة إلى الخيال والحلم والأوهام والأساطير حتى لتخرج الكتابة أو يخرج النظم عن أصوله الأصيلة المعروفة في العربية منذ آلاف السنين بدعوى التحرر والتقدم والعصرية والحداثة وكلها دعاوي باطلة وزائفة.

فالإسلام قد جاء في ضوء النور الساطع والحقائق الأصيلة والثوابت القائمة وكشف كل زيوف دعوات الخداع والتضليل.

كما أنه أعطى الفكر البيان والثقافة والحياة كلها طابع (الأخلاقية) الأصيل البعيد كل البعد عن الانحلال والفساد والاباحة.

ومن ثم أقام قواعد ثابتة للنفس والعقل وللفرد والمجتمع تمتد إلى ثبات الأسرة وثبات القيم وتعطي المسلم حرية الحركة في إطار المتغيرات دون أي مساس بالثوابت الأصيلة.

ومن هنا فإن محاولة إعادة المسلمين إلى سرداب الأساطير وظلماتها وتعقداتها ومايتعلق بالغموض وإحياء مفاهيم الخيال والحلم للقضاء على القيم والثوابت، هذه المحاولة مرفوضة تماماً خاصة وأنها في المرحلة الجديدة تجيء بأسلوب خادع من حيث دعوى اصحابها أنهم يعملون من أجل «الابداع» وتوسيع نطاقه في التعليم والثقافة والحقيقة إن كلمة (الإبداع) قد تجاوزت في السنوات الأخيرة حجمها الحقيقي

في جو الأدب العربي والفكر الإسلامي.

وهي تستعمل الآن تجاوزا حيث يمكن استعمال مصطلح آخر غيرها أصح تعبيراً وهو (الأداء الفني).

ذلك لأن مصطلح الإبداع يحمل الآن كل سوءات التبعية والتغريب والتحلل الخلقي.

لقد ظهرت هذه المذاهب (السريالية- البنيوية- الرمزية الوجودية) في أوروبا في مواجهة التحدي الخاص بالجمود الديني وعدم الانفتاح أمام سنن التقدم وكانت هذه المذاهب محاولة لتدمير الثوابت النفسية والأخلاقية والاجتماعية في عالم الغرب كما صنعت الواقعية الاشتراكية، والصراع الطبقي في عالم الماركسية، وكلها محاولات يراد بها تدمير النفس الإنسانية وإخراجها من ثوابت الفطرة، إلى التحلل والانهيار حتى تكون الأمم مستعدة للخضوع تماماً أمام محاولات احتوائها على النحو الذي رسمته الماسونية وبروتوكولات صهيون وهي الحرب المعلنة على (الجوييم).

ومن هنا فإن فتح باب الخيال والأوهام والأساطير، والحلم وغيرها على هذا النحو الذي يحاولون طرحه في أفق البيان العربي والفكر الإسلامي يجب الحذر والتوقي من خطره.

فالمسلم لا يرفض الخيال والحلم ولكنه يضعهما في دائرة الحقيقة والواقع وفي إطار الثوابت والمتغيرات بحيث لا يطغى الخيال والحلم إلى حد يقضى فيه على الشخصية الإنسانية السوية وكل مسلم يحلم ويتخيل وينظر إلى المستقبل ولكن في دائرة منضبطة يحكمها المنهج الأصيل ولا تخرج عن إطار الضوابط الإسلامية الأساسية.

والفن في الإسلام لا ينفصل عن الأخلاق وكذلك يفرق المسلم بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.

كذلك فإننا نقيم مفهوم (التوازن) بين الواقع والخيال حتى لا يصرفنا الانحراف عن الهدف الصحيح ونحن دائماً نتحرك في نظرة إلى الأمام مرتبطين بالأصالة والتراث متحررين من أغلال التبعية والحداثة التي هي الصورة الجديدة للسريالية والوجودية وغيرها ومن هنا فنحن لا نقبل مقولة إحلال ثقافة الإبداع محل ثقافة الذاكرة على النحو الذي يتحدث عنه أهل الفن الذين يتجاوزون الضوابط إلى الدعوة إلى صور منحرفة تغتال القيم وتقضي على أخلاقية المسلم فالفن والأدب في مفهوم الإسلام يقوم على الأخلاقية أساساً.

والحرية في مفهوم الإسلام حرية منضبطة، وليست حرية مطلقة، ولها حدود عقدية وأخلاقية واجتماعية.

وقضية الصدق الفني يجب أن يفرق بينها وبين الصدق اللحظي وبين صدق القناعة المستمرة، وكما يقول الدكتور مصطفى محمود ان الفكر الإنساني في حالة تحول دائم ولا يبقى منه سوى الابداع المنسق مع الحقائق الكلية والمطلقة.

ونحن اليوم في حاجة إلى وضع ضوابط لمصطلح الابداع حتى لا ينحرف به الكتاب الغربيون.

وعلينا أن نتفق على مفهوم واضح للفن الذي يخضع لقاعدة فقهية أصيلة وهي حسنه حسن وقبيحه قبيح.

كما يتفق على مفهوم الحب الذي أصبح يستعمل في مواضع مختلفة

مختلطة فهناك حب حلال وحب حرام.

وعلينا أن نقف موقفاً واضحاً أمام المذاهب العبثية وفي مقدمتها الوجودية التي سقطت في بلادها ونقلت إلينا لتزييف أصالتنا وإيماننا بالله تبارك وتعالى وإذا كان الإسلام يقر مفهوم (الوضوح) ويجعله أساساً وقاعدة فإن كل محاولة لطمس هذا المفهوم عن طريق الدعوة إلى الغموض أو التمرد على القيم أو الخيال المهوم فهو محاولة مضللة على الكاتب المسلم أن يتجاوزها.

ويذكر دائماً قول الله تبارك وتعالى:

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾. سورة الأنعام آية ١٥٣.

لقد تأكد انحراف منهج الحداثة الذي يسيطر الآن على كل هذه الدعوات وقد تأكد أن هناك أيد آثمة تحركه.

وقد تبين منذ قليل فساد الوجهة فقد انصرف الشعراء غير العموديين إلى النقد وعاد الشعر العربي إلى النظم العمودي، وعاد الشعراء إلى القصيدة العمودية وكان دعاة الحداثة يرددون دون وعي ان الشعر العمودي قد انتهى وأننا في عصر التحرر من القافية والعروض التقليدي ثم تقدموا خطوة فزعموا أن العروض قيد فتحرروا منه ثم انتهوا إلى مايسمونه (قصيدة النثر) وأرغموا كل شاعر أن يسير في طريقهم حتى يتبين لهم أن لا أحد معهم وقد أدركوا ذلك بعد أن أطفئوا جذوة الفن في أعماق مبدعين كثيرين من الشباب فخسرنا هؤلاء ولم يستطيعوا هم أن يواصلوا السير وعاد بعضهم إلى القصيدة

العمودية، إنها عودة من فقد جذور ه وضل طريقه فلا هو شاعر حر ولا هو شاعر عمودي (دكتور طاهر مكي).

والواقع أن هذه الموجة التي بدأها شاكر السباب وصلاح عبدالصبور وأمل دنقل وغيرهم كانت موجة سوداء ولم تكن أصيلة ولا على الطريق الصحيح.

ومن أثر ذلك تلك الموجة من الكتابات المريضة في هذا العصر والتي بدأها جبران خليل جبران ثم تابعها القس يوسف الخال ثم ادونيس وقال البعض بشأنها إن الدعوة إلى مايسمونه (ثقافة الابداع) هي محاولة أخرى جديدة ستلقى نفس المصير حين يقول أحد دعاتها (إن ثقافة الذاكرة هي الثقافة التي ترى أن ما انتهينا إليه يعد نظريات صادقة صدقاً مطلقاً أما ثقافة الابداع فتعتمد على التفكير النسبي).

ومعنى هذا أنها تدعونا للشك في قيمنا وعقائدنا ومفاهيمنا الأصيلة الثابتة، وأن ما انتهينا إليه باطل وأن نتلمس طريق نظرية النسبية التي ترى أن الأخلاق تتبع المجتمعات ولا تقود المجتمعات وهذا مفهوم مسموم مضلل يراد فرضه على مناهجنا التعليمية للقضاء على مفهوم الألوهية والوحي والنبوة وثبات قيم الأخلاق في كل البيئات والعصور.

ومن ذلك تدريس بعض القصص الجنسية الصارخة أمثال قصة الطيب صالح (موسم الهجرة للشمال) تحت اسم حرية الفكر أو حرية الإبداع ولقد وضح أن للحرية في الكتابة حدودها الأخلاقية والاجتماعية.

إن هذه الميزة، هي القيد الذي يربطنا بمنهج الله تبارك وتعالى والذي يجعلنا نختلف في مفهوم (الأداء الفني) عن الغرب وكما قلت فإن الفن في الإسلام أخلاقي أساساً (حسنه حسن وقبيحه قبيح).

ولقد يحاول البعض أن يزدهي بترجمة أعماله إلى اللغات الأجنبية ويرى أن هذا دليل على ارتقائها وعالميتها والأمر ليس كذلك بالمرة فإن الغرب لا يترجم إلا القصص أو الأعمال التي يرى أنها تؤيد وجهته في تغريب المسلمين ولذلك أعطى جائزة نوبل لعمل واحد من أعمال نجيب محفوظ هو (أولاد حارتنا) لأنها تخوض في معارضة مع مفهوم الإسلام والقرآن.

وهم يقومون بترجمة القصص الموجه الذي يحمل أفكاراً تبشيرية وتغريبية ويراد به فرض مفاهيم في المجتمع العربي الإسلامي أو تصوير هذا المجتمع وقد استجاب للتغريب.

وتوضع (قصة اصوات) لسليمان فياض في مقدمة هذه المؤلفات وهي قصة تحمل في كل سطر وجملة على تخلف العرب في مواجهة حضارة الغرب فهذه القصص التي ترجمت إلى لغات عدة لا تعطي مفهوم عالميتها أو أهميتها أو تحقيق لأهداف إنسانية رفيعة بل على العكس من ذلك فإن القوم لا يترجمون إلا مايجدونه يردد أفكارهم حتى يقولون المجتمع العربي والإسلامي قد تحول إلى التبعية بمفهوم (هذه بضاعتنا ردت إلينا).

هذه القصص تثلج صدور الغرب (كما يقول الأستاذ محمد عبدالقدوس) لأنها تمثل إخلاصنا السديد لعقل أوربا وقلبها، وأن مثل هذه الكتب تجد تدعيماً وترويجاً كبيراً من عدة جهات تنصيرية بامتداد

البلاد العربية .

●●●

وجملة القوم في هذا المجال :

أولاً : كان الإسلام علامة على انتهاء عصر الأساطير والوثنيات وخرافات الآلهة المتعددة، فقد أقام منهج الوضوح والضياء وقدم القرآن الكريم تصوراً كاملاً للميتافيزيقا (عالم الغيب) كما قدم منهجاً كاملاً للحياة يختلف عن منهج الفلاسفة اليونان الذين أقروا عبودية الإنسان والرق وقامت عليها حضارات الفرس والرومان والفراعنة .

ثانياً : كانت الدعوة إلى المذاهب الادبية (السريالية- البنائية) الخ محاولة لتفكيك البنيان العربي وهدم الفصحى وخلق تصور فكري مضلل لا يقيم اعتباراً للضوابط اللغوية والنحوية من خلال هدم قوانين النظم وقواعد النثر في محاولة فاشلة .

ثالثاً: تبين أن الدعوة إلى (االحداثة) إنما ترمي إلى إحياء فكر الباطنية والشعوبية والإباحية وذلك بادخال مصطلحات فلسفية أو صوفية تختلف عن النسق الذي قدمه القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ .

رابعاً : مصطلح الابداع مصطلح غامض يريد اصحابه هدم الثوابت الاجتماعية والأخلاقية والتربوية وفتح الباب واسعاً أمام نظرية النسبية كما ترمي إلى خلق جو من الوهم والغموض .

خامساً : أخلاقية الأدب والفن والإجتماع قاعدة أساسية رصينة لا يمكن دحضها أو تجاوزها فقد جعل الإسلام (الأخلاق) من الكلم الثوابت فالدعوة إلى النسبية في هذا المجال دعوة باطلة ومرفوضة .